مُصطفَى شُهَيب

ليالي الحنية

الرواق للنشر والتوزيع

ليالي الحنية
مصطفى شهيب
الطبعة الأولى ..... يناير ٢٠١٩

الغلاف: كريم آدم
رسوم داخلية: محمود سليمان
اخراج فني: وليد فكري

رقم الايداع ٢٦٣٦٩-٢٠١٨
الترقيم الدولي: 978-977-824-063-4

186 عمارات امتداد رمسيس 2 - أمام أرض المعارض - مدينة نصر
هاتف: 0220812006
rewaq2011@gmail.com
facebook.com/Rewaq.Publishing

للنشر والتوزيع

اهداء

للون الأبيض فى علبة الألوان
لآخر كرسى جنب الشباك
لأسامى تترات النهاية
و للى جناهم...
بس ماجمعتناش معاهم صورة

مصطفى شهيب

قبل البداية ..

- اتفضل

كان الترمجي يُشير لي بيده للدخول للغرفة، تجمدت لمدة ثوانٍ.. أفكر هل أخلع من هنا فورًا أم أقتحم الغرفة، نظرت حولي فوجدت أن كل الجالسين ينتظرون رد فعلي، حتى تلك السمكة الصغنتوتة في حوض السمك كانت تُراقب ما يحدث بفضول، فوقفت ببطء وحسمت الأمر، واتجهت لهناك رجل ورا و رجل قدام.

دخلت فوجدت الدكتور يُراجع في ورقة بها بياناتي ملأتها منذ قليل، ارتبك عندما لاحظ أنني رأيته، ابتسم وسلم عليا باسمي، محاولًا خلق حميمية مزيفة يكسر بها حائط الثلج بيننا..

دُرت بعيني في الغرفة الصغيرة، فشاور لي على كرسي أمامه لأجلس عليه.

- هو مفيش شيزلونج هنا، وأمدد عليه وابتدي أحكي وكده.

- انت كده وفرت عليا أول سؤال كنت هسألهولك، هل روحت قبل كده لدكتور نفسي ولا لأ.. بس واضح إنه لأ، لأن ثقافتك واخدها من الأفلام.

- الأفلام برضه بتقول إن كل الدكاترة النفسيين لاسعين أكتر من العيانين.

ضحك ثم خلع نظارته، ثم فرك عينيه لثوانٍ يستعيد نشاطه ثم اخذ تنهيدة طويل قبل ان يتكلم..

- قولي بقى مالك؟

- مش عارف يا دكتور حاسس بتقل كده على نفسيتي.

- يعني مش بتشتكي من حاجة معينة؟.

- ما أنا خايف أقولك عليها ماتطلعش هي.. تطلع حاجة بتداري على حاجة تانية.. أوجاع النفس كده زي أوجاع السنان، كلها بتنقح على بعض!

- طب ما تحكيلي؟

- ما أنا مش قادر!

- طيب عايزك تكتب..

- أكتب؟ أكتب عن إيه؟

- عن أي حاجة، عن الليالي اللي تفتكرها.. اللي تحن لها، كل حاجة بتدور في دماغك.. حتى لو جملة مش مفهومة.. حتى لو شخبطة.

- تفتكر ده حل؟

- هنجرب.

ماشي.. هحاول أفتكر.

قلة أدب

كنت أشعر بأن هناك حركة غير طبيعية بالصفوف الأخيرة في الفصل، التفت للوراء فلا أجد شيئًا مهمًا يحدث، ولكنني أسمع همهمات أمر ما يحدث في سرية تامة، أحاول أن أنتبه لما تشرحه المعلمة، لأنه حسب قولها مرجح أن يأتي هذا العام في الدور الأول من امتحان الابتدائية، وفجأة يزغدني من يجلس خلفي ليعطيني شيئًا، توقعت أن يكون سندوتش ستتشارك أكله في خبائة دون ملاحظة المعلمة - وهي أقصى درجات الصياعة التي نمارسها كجيل بريء مبهور بمسطرة بها مياه وكوتش بينور وأستيكة بطعم الفراولة - فـــ ممدت يدي وكانت ورقة ناعمة الملمس، استلمتها بخفة يد ديلر مخدرات محترف يقبض ثمن بضاعته دون أن ينكشف، وانتظرت حتى تحركت المعلمة للجانب الآخر من الفصل، ونظرت للورقة وانتابتني الصدمة!

كانت الصورة مقصوصة من مجلة أجنبية لامرأة عارية الصدر، فجأة توقف قلبي عن النبض، وأصابتني رعشة خفيفة وشعرت بأن الأوردة تكاد تنفجر بوجهي، تلك أكبر صدمة تعرضت لها منذ أن ولدت من أحد عشر عامًا.

لأول مرة أرى شخصًا عاريًا في حياتي، توقفت عن النظر للصورة منذ أول لحظة، ولكن يبقى ذلك التأثير في خيالي وكأن الصورة ما زالت أمامي وعلى وجهي فضيحة الارتباك، وفجأة أسمع اسمي من المعلمة وأسمع من بعدها «قوم أقف»، أرتبك أكثر، ترتجف قدماي أمامها كدجاجة مزنوقة في عرقوب المنور.. أكيد ظبطتني وأنا أتلصص لتلك الصورة، تدور بمخيلتي كل السيناريوهات السيئة.. مصيري المجهول الذي ينتظرني وعن فضيحتي التي لن تُنسى.. لو حلفت لهم بالمية تجمد إن الصورة مش بتاعتي محدش هيصدق، أقف وأنظر لها بصمت وإحساس بالذنب وتأهب نفسي لما سيحدث فتسألني: «كنت بقول إيه؟».. أصمت وأحمد الله على إنقاذي من تلك الورطة، فترمقني بنظرة غاضبة وهي تصرخ فيّ «أقعد بس ركز».. أجلس وأنا ما زلت في العالم الآخر، أنظر حولي وأشعر بأن الكل ينظر لي، يراقبني، يعرف ما فعلته توًا وما رأيته.

في الفسحة، جلس صديقي صاحب الصورة بجانبي، وأنا ما زلت صامتًا مصدومًا لما رأيته، سألته باقتضاب عن مصدرها، فأخبرني أنه وجد المجلة بين محتويات أخيه الأكبر فقص منها تلك الصورة، وعندما سألته : هو فيه فعلًا مجلة كلها قلة أدب كده؟ فأخبرني بأنه رأى بنفسه ما هو أفظع، رأى صورًا تُحاكي ما يحدث بين المرأة والرجل لكي ينجبوا، فسألته ببراءة : بيبوسوا بعض يعني؟، فسخر مني وقال إنه ليس بالبوس يأتي الإنسان وإنما بالعملية الجنسية، فسألته: دي عملية جراحية دي؟، فضحك على بلاهتي ثم أخبرني بها وتفاصيلها وليته ما أخبرني..!

بخطوات بطيئة أتحرك للمنزل، وأنا مشوش وغاضب، كانت كلماته

مؤلمة، وهو يهدم كل ما في رأسي عن كيف تأتي الأطفال.

كانت كل معلوماتي من الأفلام إنه إذا قبّل المتزوجون بعضهم يتم الإنجاب، والآن أكتشف أن القبلات مجرد مرحلة، معنى هذا أن أبي وأمي لم يقبلا بعض فقط لكي ينجباني، معنى ذلك إنهم عملوا قلة أدب؟!

تكاد الصدمة تفجر رأسي! يعنى أنا اتقرطست! بيقرطوسني في البيت وبيعملوا قلة أدب.. الناس الكُمل دي بتعمل قلة أدب؟! وأنا إيه؟ أنا نزوة؟ أنا ليلة حمرة؟ هار أسود!

الموضوع ليس هينًا أبدًا، كيف تفعل ناس محترمة مثل هذه التصرفات المشينة، أبي وأمي أعرفهما جيدًا، وأعرف أنهما أكثر احترامًا من أن يفعلا ذلك، هل تتخيل مثلًا أن تقدم الفنانة إنعام سالوسة مشهد إغراء وهي ترتدي ميكروجيب ؟ هل تتخيل مثلًا عبد الرحمن أبو زهرة مندمجًا في قبلة فرنسية مع ياسمين صبري.. هل تخيلت؟ هل قرفت وقلت «استغفر الله العظيم، لا يا عم ما تقولش كده»، بالظبط هذا ما كنت أشعر به!

دخلت للمنزل ووضعت شنطتي، ودخلت للمطبخ، كانت أمي تطبخ وهي تغني كعادتها، أدور حولها في صمت محاصرها بنظراتي الصامتة القامطة كمفتش شرطة يدور حول مجرم متلبس يخبره بأنه يعلم كل شيء عن جريمته، أعرف الآن فقط حل لغز أن يكون دائمًا هناك غرفة للأب والأم، وغرفة أخرى للأطفال!.

أدور حولها، وأنا بداخلي أقولها «أنا عارف كل حاجة، عارف السر اللي

بقاله١١ سنة، عارف اللى عملتوه ومعايا الدليل.. أنا الدليل!

خرجت من المطبخ للصالة، ووجدت أبي يصلي.. يا سلاااام! .. دلوقتي عرفت ربنا .. ده أنت بتقفل التليفزيون لو فيه بوسة.. أنا إزاي اتخدعت فيك كل الفترة دي بجد!

كنت أود أن أنده عليهم وأجلسهم أمامى وأخبرهم بأنهم سقطوا من نظري للأبد، ومن دلوقتي لا أنت أبويا ولا أنتي أمي.. أنا أبويا وأمي أشرف من كده، ثم أنهار في البكاء وأترك المنزل في مشهد ميلودرامي عظيم ولكنني لم أنطق، كانت صدمتي أكبر بكثير من أن أنطق، كل ما شعرت به أنني أريد أن أنزوي في غرفتي.. وأنا أشعر بأن تلك القداسة التي كنت ألصقها بهم تنهار.

اكتشفت ليلتها ما هو من كيف تأتي الأطفال .. اكتشفت أنهم بشر عاديين جدًا.. اكتشفت أنه لا شيء مقدس، وأن أنعام سالوسة ممكن أن تقدم مشهد إغراء عادي، وعبد الرحمن أبو زهرة ممكن يبوس ياسمين صبري من بقها .. بس أكيد مش هتفرج عليهم.

ميد ويز لاف

- ١ -

قابلت مرة الشيف شربيني، وسألته سؤالًا شغلني كثيرًا: هو فيه حاجة اسمها النفس في الأكل؟، كنت أسأله وأنتظر الإجابة بشغف حقيقي.. شعرت بأن السؤال أربكه قليلًا، ربما لأن غالبًا الناس يقابلونه بتعليقات خاصة به أو بوصفاته، فابتسم لثانيتين، ثم قال: طبعًا دي حاجة مفروغ منها، سألته : طب ده بيتعمل ازاي ؟ فاختفت نصف ابتسامته وقال بجدية أكثر: للأسف ما بيتعملش، بس ليه وصفة وهو أنك تعمل الأكل بحب، فتخلي مشاعرك الحلوة تدوب مع المقادير وأنت بتقلبها..، تفاجأت من رومانسية الرد، فقلت له : أشرح لي أكتر لو سمحت.. يعني ده بيحصل معاك مثلًا؟ فقال بنفس جديته : بيحصل معايا كتير جداً، إني أطبخ أكلة وتطلع مرة حلوة و مرة وحشة، رغم أنها بتكون نفس المقادير ونفس الطريقة بس مرة بعملها وأنا مبسوط، ومرة وبعملها وأنا مقريف.. حالتك النفسية ومشاعرك جزء مهم من طعم الأكل، إن مكنش أهم حاجة!

لا أنكر أن رده صدمني، لأنه على لسان شخص محترف، توقعت وأنا أسأله أن يقول لي إن الأمر لا يتعدى كونه خرافة، لهذا أبهرني، وبهرني أيضًا ذلك العالم الذي رأيته في لقاء مرة، يسأله المذيع عن كيفية وصوله لنتائج ذلك البحث العلمي المذهل، فقال لسببين أولاً أنه قرأ كثيرًا كل تجارب الذين سبقوه، وثانياً إيمانه أن روح أمه في السماء كانت تراه وتشجعه و تدعمه كثيرًا أول ما كان يشعر بالإحباط.. أقف كثيرًا عند الأشخاص العمليين الذين آمنوا بالعاطفة كما آمنوا بالمنطق، لأن هذا ما يربطهم بالحياة ..هذا ما يجعلهم من لحم ودم.

كنت طفلًا واستغرب إصرار جدتي على شراء لحمة من جزار معين دون غيره فسألتها مرة : أشمعنى ده يعني ؟ فقالت لي : «سكينته حلوة»، وقتها كل ما ذهبت إليه دققت النظر في سكينته، محاولًا فهم الفرق بينها وبين سكينة أي جزار آخر، ولم أفهم أنها لم تكن تقصد السكينة بمعنى السكينة ولكنها تقصد انه يقطع اللحمة قطعة حلوة.. يقطعها بحب، وسمعت مرة زبونًا رفض أن يقوم الفكهاني بوزن أشيائه على الميزان، قائلًا له: «والله ما يحصل ده أنت إيدك ميزان».. لم يقل إنه رجل حقاني لا.. قال إن يده من تعاملها مع الفاكهة أصبحت ميزانًا، ويُقال على العامل المخلص إنه شاطر، بينما العامل الذي يحب صنعته يوصفه الناس بأن إيده تتلف في حرير.

أعرف كتابًا وشعراء ورسامين، لا يملكون المفردات والخطوط الفنية المعقدة، ولكنهم ناجحون أكثر من غيرهم، لأنهم يعبرون عن مشاعرهم بحب وليس بحرفة، إن الفن الصعب المركب يبهرك، أما الفن الذي تشعر بأنه صنع بحب فيمس قلبك.

«ميد وز لاف»، عبارة سحرية لمستني على لافتة لمطعم أجنبي، وأظنها أكثر عبارة تسويقية قرأتها جمالًا ودفئًا، صحيح أن الحب ليس من ضمن المكونات الرئيسية للوجبة، ولكنك لن تستطيع أن تفصله عن مذاق الطعام، الحب هو التوابل التي تضاف على العمل فتستطعمه، الحب هو نيتك الحلوة لما تقرر أن تفعله، لذلك كان التخطيط مكانه العقل والنية محلها القلب .

- ٢ -

كان صديقي يلاحقني تليفونيًا للدرجة التي بدأت أشعر فيها بالتوتر، كان الطريق للبيت الجديد مزدحمًا وخانقًا، لم أر البيت، ولكن صديقي رآه صدفة وأحد أصدقاءه يغادره، وأصبح البيت متاحًا للاستئجار في الوقت الذي كنت أبحث فيه عن بيت جديد أنتقل للعيش فيه، كان البيت كما وصفه صديقي مطابقًا لمواصفاتي، فهو في حي هادئ، وفي منطقة سكنية ليست متطرفة، كما أن سعره مناسب .. هو لقطة بكل الأشكال.

استقبلتني صاحبة البيت وصديقي الذي كان ينتظرني معها، كان البيت جميلًا فعلًا وأثاثه جديدًا وبسيطًا، بعد كل جولة في غرف البيت تسألني صاحبة البيت: ها إيه رأيك؟.. ويرد صديقي: مفيش أحسن من كده والله، فقالت: نمضي العقد؟، فصمت لثانية أفكر، فنظر لي صديقي نظرة غضب ثم انسحب من لسانه، وقال: أرجوكي.

مضت أول ليلة لي في الشقة طويلة جدًا، حاولت أن أنام بكل الطرق التي أعرفها وفشلت، فهاتفت صديقي وطلبت منه القدوم للمبيت معي فجاء وسهرنا للصباح، ثم نام هو كالقتيل، و ظللت أنا مستيقظًا بعد أن أعلن عليا النوم الحرب، وجاءت الليلة الثانية، وظننت أنني سأذهب للبيت من العمل وسأقع من طولي عندما ألمح السرير، ولكن تكرر ما حدث باليوم الأول مع مضاعفة الإرهاق الذي أشعر به، وبدأت رحلة البحث عن النوم في ذلك البيت الغامض بالانتقال من غرفة النوم للصالة، ثم للصالون ثم لغرفة النوم مرة أخرى دون أي أمل، شغلت الموسيقى الهادئة في المكان ونشرت الشموع بالروائح النفاذة التي تساعد على الاسترخاء في كل الأماكن ومفيش فايدة، فتحت الشبابيك ثم أغلقتها وأطفأت الأنوار ثم أضأتها، حركت الأثاث من مكانه، تناولت حباية مهدأ ثم حباية منوم، ولا شيء يتغير سوى أن جهازي العصبي في مرحلة متأخرة من قلة الراحة، بالإضافة لنغزة صغيرة بدأت تتسرب لقلبي، وقضيت الليل كله عيني منفجلة، ونمت صباحاً في المكتب بضع ساعات على الكرسي، وأخبرت صديقي بما يجري في البيت، فسحب نفسًا طويلًا من سيجارته، وقال : تفتكر البيت ده مسكون.. فيه عفاريت يعني ؟، فأخبرته بأنني لا أؤمن بتلك الأشياء وليس من محبي ريهام سعيد للأسف، فنظر لي نظرة ثاقبة فاحصة مركزة ثم قال: أنا عرفت اللغز.. فيه حد اتقتل في البيت ده ومن ساعتها حلت اللعنة وروح القتيل هي اللي بتطاردك عشان تقولك مين المجرم ، سحبت منه السيجارة وسحبت نفس وانا بقوله : أنا شفت الفيلم ده قبل كده ..أنت كنت مطبق على ام بي سي تو امبارح صح ؟ .

في اليوم الثالث، كانت عيوني مرهقة من عدم النوم، و النغزة بقلبي زادت

قليلًا ولازمها ضيق في التنفس دون سبب، وهنا أدركت أن هناك مشكلة ما في البيت لا أعرفها، وفي اليوم الرابع كانت النغزة تزداد كأن قلبي ينخلع من مكانه، وأصبحت متوترًا وخائفًا، وعرفت أن هناك حاجز بيني وبين هذا البيت ..أنا لا أحبه، و كل محاولاتي السابقة كانت محاولات لإجباري على هذا الحب الذي لم يحدث، ولا أشعر إلا بشيء واحد وهو أنني أريد الرحيل من هنا فورًا، ولكن كيف سأقنع صاحبة البيت بفسخ العقد لهذا السبب، ستظن أنني مختل عقليًا.. إن لم تكن متأكدة يعني.

حضرت صاحبة البيت، و بلغتها بأنني أريد إلغاء العقد، تنحت ثم سألتني عن مشكلة الشقة، فجاوبتها : محبتهاش، فصمتت لثانيتين ثم قالت: أيوه يعني إيه المشكلة برضه مفهمتش؟! حد من الجيران ضايقك؟ فيه حاجة بايظة؟، فجاوبتها بأن كل شيء رائع فعلًا بس أنا مش عارف أحبها.. وأديتلها بدل الفرصة أربعة، كانت السيدة تنظر لي نظرات مريبة، وانا فعلا فى ورطة ..ورطة أن أشرح لشخص سببًا لا يرى ومشاعر لا يشعر بها أحد غيري، وافقت السيدة وهي تخبرني بأن ذلك أغرب سبب سمعته في حياتها فأخبرتها بأنني مؤمن تمامًا بأن البشر مثل البيوت.. لهم شخصية ورائحة وروح ، ومثلما نقابل بشرًا نرتاح لهم من أول مرة، هناك بيوت نقع في غرامها من أول يوم، و كما نقابل بشرًا ننقبض من رؤيتهم كلما رأيناهم، هناك بيوت نشعر تمامًا بأنها غريبة عنا مهما حاولنا التأقلم معها.

وقفت طويلًا أمام مشهد لفيلم أجنبي لإبن يعاني من معاملة جافة من أباه طوال الوقت حتى قرر أن يواجهه ويسأله: لماذا لا تحبني؟، فيجاوبه الأب: ألا تنام على سريري؟ ألا تأكل من أكلي؟ ألا تعيش في بيتي؟ إذن أنت تملك

كل حقوقك، لماذا تسألني عن الحب، لا تسألني عن الحب!، إن ذلك الحوار يحدث في كل بيت مصري، كل أب سأل إبنه باستغراب «قصرنا معاك فـ إيه، بتاكل وبتشرب وبتلبس، ناقصك إيه؟»، والآباء عادتهم يسألون فقط دون أن يحبوا سماع الإجابة، ولكني سأجاوب هنا بالنيابة عن كل الأبناء: «ناقصني كل حاجة، البيت من غير دفا مجرد حيطان بنعيش وسطهم».

- ٣ -

قالت لي: «إيه بوسة المتجوزين دي؟».. ولا أنكر أنها فعلًا كانت بوسة من غير نفس، الشوق موجود.. ولكنه يذوب وسط التفاصيل الصغيرة المزعجة التي أصبحت بيننا، قالت لي: «أنت أتغيرت عن الأول» فأجبتها «وأنتي عملتي إيه عشان أفضل زي ما أنا ما أتغيرش؟» فصمتت، وقت الخطر في العلاقة هو ذلك الوقت الذي يصبح فيه الصمت أكثر من الكلام والاعتذار أكثر من الشكر والهروب أكثر من المواجهة، كنا في أزمة.. أزمة كبيرة.

دام الصمت لعدة ثوانٍ حتى أخبرتني بأنني أصبحت باردًا جدًا معها، فأخبرتها بأن ذلك ملحوظة مهمة من الجيد أنها لاحظتها، لأنها لم تعد تلحظ أي شيء اصلاً يخصني ولو كانت تلك هي الملحوظة الوحيدة التي تراها فهي دليل على كونها لم تعد ترى بشاعة تصرفاتها وبشاعة الأيام التي نعيشها سوياً .. صمتنا بعدها لثوان وكل منا يترقب رد فعل الأخر ..توقعت أن ترد الهجوم بالهجوم كالعادة ولكن صمتها زاد حتى قالت: خلينا أصحاب».

كانت تلك المرة الأولى التي نصل فيها لتلك النقطة، ولم أكن أعرف أنها كانت الأخيرة، كنت أظن أننا سنتجاوز الأزمة .. ولكن يبدو أن الأزمة هي من تتجاوزنا..لم تكن هذه المرة خناقة يعنى وهتعدي بل كانت تقصد الجملة .. تقصدها فعلاً .

قتلت أمريكا المدنيين في فيتنام، و قالت إنها «أعراض جانبية»، ثم قتلت أمريكا حلفاءها في العراق وقالت «نيران صديقة»، و قتلتني هي وقالت لي «خلينا أصحاب».

يكون الانفصال عادة خياراً أمامك، ولكن عندما يكون الخيار الوحيد فهو ليس خيارًا.. هو طريق إجباري، خاصة في علاقة تحمل طرفين لا بد أن يكون لهما نفس الشغف والإرادة في الاستكمال، فارتضيت الانفصال.. أو بمعنى أصح اجبرت عليه .

تلقيت منها اتصالًا آخر بعدها بقليل أخبرتني فيه بأنها تريد أن تقابلني للمرة الأخيرة لأمر مهم، أخبرتها بأنني لا أحب لحظات الوداع .. فرجاءاً لا تزيدي الموقف صعوبة لأن الموقف صعب بطبيعته، ولكنها أصرت، فوافقت وأنا متضرر جدًا لما سيحدث، ولكن أود أن تنتهى الحدوتة بشياكة ليس أكثر .

كان المكان هو المكان الذي شهد لقاءنا كثيرًا، محطة المترو القريبة منها التي طالما ودعتها هناك، وقفنا تلك الليلة ولأول مرة يفصل بيننا الحاجز الحديدي لماكينة التذاكر دون أن يمر أحدنا للأخر، شعرت لحظتها أنها المرة الأولى التي أصبح فيها لكل منا رحلتان مختلفتان، تبادلنا السلام كأغراب..

ولم يدر بيننا حديث سوى أنها مدت يدها بشنطة سوداء، فاستلمتها وأنا يشغلني الفضول عما بداخلها، واسأل نفسي ما الشيء المهم بداخلها ليستدعى كل هذه الحكاية وهذا المشوار ؟، لم أستطع الانتظار حتى الذهاب للبيت لمعرفة الإجابة، فتحت الشنطة ووجدت بها ألبومًا كبيرًا، توقعت أن يكون به صورنا ولكنني وجدت فيه كل مقالاتي التي كنت أكتبها بالجرائد في تلك الفترة، المقالات مقصوصة ومؤرخة بشكل منظم ومدهش، وقفت بالشارع أقلب في الألبوم، كان في كل مقال يمر بين أصابع يدي ذكرى بيننا، ذكرى مرتبطة بشيء يجمعنا، وشعرت بأنني لا أقلب الصفحات، بل أقلب في أيامنا الحلوة التي مرت علينا.. اكتشفت أننا قضينا الكثير من الأوقات الحلوة ولم تكن كلها بشعة كما كنت أدعي ..

في الشنطة، كانت هناك العشرات من تذاكر المترو، التي احتفظت بها.. الآن عرفت سر تزويغها الدائم من ماكينات الخروج ، كانت كل تذكرة مكتوب عليها يوم الخروجة وانطباعها ..

« الحد

كان تحفة أوي

الأربع

مكنتش عايزة أروح وأنت لسه زعلان مني

الاثنين

انبسطت أوي أوي.

الجمعة

كنت هبوسك وسط الناس»

ووجدت بقاع الشنطة أغلفة فارغة كثيرة لكل الشيكولاتات التي هاديتها إياها وأحتفظت بها .. لم أكن اعرف أنها كانت ممتنة لأبسط الأشياء وتحتفظ بتلك النفايات لمجرد أنها مني .. لمجرد أن بها رائحتي ، وفي تلك اللحظة.. تلك اللحظة تحديدًا تمنيت لو أننا لم نفترق!

شعرت فجأة بالضياع وبحجم الخسارة، وددت لو ألتفت لها، وأناديها وأصرخ فيها « طب إحنا بنسيب بعض ليه ؟» ، ولكنها اختفت وسط الوجوه، خرجت للشارع وأنا أشعر بثقل على قلبي وعلى خطواتي وعلى أنفاسي، شعرت بأنني مكسور بالكامل.

بعد الفراق يصبح كل شيء تافه شيئًا عظيمًا، لو كنت رأيت الالبوم أثناء علاقتنا كنت سأراه حركة لطيفة، ولكنني الآن أشعر بأنه تضحية عظيمة منها، رسالتها الرومانسية التي قرأتها بطريقة عابرة قبل النوم، أعيد قراءتها الآن كأنها قصيدة شعر.. أتأمل إعجازها اللغوي والرومانسي كأنني أعيد اكتشاف اللغة من جديد، أنظر لتلك الصورة التي جمعتنا، تلك الصورة التي لم ابتسم فيها بالشكل الكافي وأنا معها، أود لو أعيد الزمن لكي أضحك فيها، أسأل نفسي لماذا لم أضحك هنا، لماذا لم أكن سعيدًا كما كان يجب؟! ، أتمشى الآن في الشارع الذي طالما تمشينا فيه، وأشعر بأنه شارع

أثري وليس مجرد بيوت ومحلات، ولا أدري لماذا لم أر قيمة تلك الأشياء في حينها، وهل هي قيمتها الحقيقية، أم أنه قيمة الحب الذي أضيف إليها؟!

كل ما كنت أشعر به أن الثقل يزداد على نفسي، وددت لو اختفى وأذوب وسط البشر كأنني غير موجود، فحاولت الهروب من نفسي ومنهم، ومن السكاكين التي تحاصرني، ووضعت السماعات في أذني، وكان على الراديو أغنية أسمعها لأول مرة

«ودلوقتي أنا وحدي وأنت خلاص بقيت وحدك، بدأت رحلة الغربة الحقيقية وبان أكتر صهيل البرد حواليا.. وأديك سامع، أديك شايف ومش بإيديك تكون ملكي ولا ليا».

كانت الأغنية لأنغام، كنت على وشك أن أغير إذاعة الراديو، تمنيت أن اجد أغنية لأصالة، ولكن الكلمات خطفتني، فقررت الانتظار قليلًا ..

«ودلوقتي أنا وحدي، وأنت خلاص بقيت وحدك، مكنش كل ده في قصدي، ولا حلمك ولا قصدك، لكن أحلامنا مش وحديها في الدنيا، فيه ناس تانية، آمال تانية، حاجات تانية».

كنت على وشك الانهيار، ولكنني شعرت للحظة بالتماسك، شعرت بأن هناك قوة تمنعني من الانهيار، ويدًا تسحبني من الانزلاق..

«ومين عارف ما يمكن نجمك الأحلى في حاجات تانية، ويمكن ألاقي أحزاني خرافية، هنقدر أو مانقدرش، أنا مش خايفة ماتخافش».

خلعت إحدى السماعات، وبحثت عن أنغام حولي، شعرت للحظة بأنها ليست أغنية، إنها إحساس يسري لروحي، وشعرت بأن أنغام ليست بالراديو، بل تسير بجانبي، واضعة يدها على كتفي تواسيني..

«هحاول اكتشف نفسي، وأنت كمان تشوف نفسك، كتير لقيوا حاجات أعلى بطرق تانية، كتير لقيوا مخاوفهم خرافية».

أكملت المشي بخطوات بطيئة، قليلًا من الاطمئنان لا أعرف سره، أشعر بأنه قد لمس قلبي واحتضني وحاوطني..

كنت معجبًا طوال الوقت بأصالة، وقوة صوتها، كنت أشعر بأنها «بتغني بصحتها» لأيماني أن الغناء يحتاج أكثر لقوة الحنجرة من أى شيء، ولكنني لأول مرة أشعر بأنني أقع في غرام أنغام، فرغم أنها لم تمتلك صوتًا بقوة أصالة، إلا أنها امتلكت ما عجزت عنه أي مطربة أخرى.. أن تغني بحب.

بحس كتير إن الدعوات ما بتتحققش، زي ما تكون مزنوقة في السما، يعني أمي النهارده قالتلي روح ربنا يحبب فيك خلقه، دعوة بتدعيهالي بقالها حاجة وعشرين سنة، ورغم كده محدش بيحبني، هو أنا متحبش، ولا دول مش خلقه ولا إيه؟!

بس أنا مبخافش !

هناك فرق بين العداوة وبين الخصومة، العداوة هي حرب مع كيان تتمنى زواله، أما الخصومة فشخص مضاد لك، ولكن يشاركك المصير، والثانية كانت العلاقة بيني وبين أختي.

لم يمر يوم بيننا في سلام، تُحكم قبضتها على ريموت التليفزيون لأنها من فتحته الأول، وترغمني على مشاهدة فيلم رومانسي ممل، فأرد لها فعلتها وأحجز التليفزيون الليلة التي بعدها وأرغمها على مشاهدة المصارعة الحرة، استيقظ من النوم وأقلب الدنيا على التي شيرت الذي أستعد نفسيًا للخروج به فأعرف أنها قلبته مني، فأقرر إخفاء كل الفِرد الشمال من شراباتها، تستيقظ من النوم فتجد أن رصيدها «صفر» في الموبايل بعد أن رغيت به طول الليل فتتسحب وتفتح موبايلي وتاخد منه البطارية كرهينة لحين استرجاع رصيدها مني، نتفاوض ونتساوم بإشارة ابتزازية متبادلة.. هتقولي على علبة السجاير هقول على الطبق المكسور تحت الحوض، حتى ندخل نحن الاثنان في هدنة.. نتفق أن نكون حلفًا مشتركًا ونقرر نشاهد فيلمًا يرضي ذوقنا سوا، في السهرة تمدني بالأموال- بما أنها الكبيرة- لأشتري مستلزمات السهرة، وأسألها بكل استغلالية : فين حقي وحق المشوار؟!

سألتني في مرة دون أي مقدمات «بتخاف من إيه؟ « فارتبكت للحظة ثم قلتلها «مفيش حاجة في الدنيا تقدر تخوفني» ، فاجأها الرد وفاجأتها قوتي، ثم قالت « يا بختك أنا بخاف من حيرتي..» ثم قالت بعد صمت قصير « أصل متقدملي عريس أعرفه ومحتارة!»، ولا أعرف لماذا أصبت بحالة من البلاهة، وأنا أسأل نفسي: هل ممكن يُعجب أحد بأختي ويطلبها للزواج؟ هل ممكن أن تكون فتاة أحلام أحدهم؟ ما أتخيله أن العالم كله يعتبرها أخته!.

جاء العريس هو وأهله وتمت الخطوبة، بعد الخطوبة كانت أختي تعيش أقصى حالات السلام النفسي.. فقلت المشاكل بينا تدريجياً حتى كادت تختفي، كنت أقنع نفسي أنني لا أشعر بالغيرة من تلك المكالمات الطويلة بينهما وأن شخصًا آخر يحقق لها السعادة غيري، أقنع نفسي بأن ذلك غير حقيقي وأنه يوم المنى يوم ما تسيب البيت واخد راحتي، واخد دولابها الضخم، لأن دولابي صغير لدرجة أنني استعنت بكرتونة إضافية أضع فيها بقية هدومي.

تم تحديد يوم كتب الكتاب ، كان الخبر صادمًا، فأخرجت توتري في شراء بدلة جديدة، وتوزيع دعوات الفرح والإشراف على الطباخين ليلة الحنة، أما يوم الفرح فكانت الاستعدادات تجري على قدم وساق، إيقاع البيت سريع بدرجة مدهشة، الكل متصربع متفاديًا نسيان التفاصيل الصغيرة، وأنا عكسهم في حالة كسل شديدة، تمنيت أن أعطل اليوم ولا أجعله يمر، على الناحية الأخرى كان زوجها ظريفًا لطيفًا من أول لحظة، يبذل مجهودًا جبارًا لكي نصير أصدقاء، ولكنني أصده بمنطق أنه الآن أصبح

ضرتي الذي يتقرب مني لكي يكسبني في صفه، ولم أفكر مثلًا في أنه يحب أن يكون لديه عائلة ثانية، وأن أخو زوجته هو أخوه بالتبعية، وأنه يحبني لأنني أخو من يحبها، كنت بطل العالم في الرخامة، حتى وإن ظهرت لطيفًا فكنت لطيفًا برخامة أيضًا، كانت أختي بالكوافير، ورغم أقاربه الكثيرين، أصر العريس على أن أكون معه في السيارة لآخذها من هناك.. وقفنا أمام الكوافير فنظر في ساعته، وقال لي « ادخل شوف أختك فاضلها أد إيه؟».

دخلت الكوافير والمفاجأة أن كل العرايس شبه بعض لدرجة أنني لم أتعرف عليها، ناديتها فقامت إحداهن وحضنتني.. أدركت وقتها أنها تقريبًا أختي!

في الاستديو كانوا يلتقطون الصور، وأنا أقف ككلب البحر بعيدًا أمثل الانشغال بتصويرهم.. يلتقطون الكادر بعد الكادر، وأنا أود أن تنشق الأرض لتبتلعني، حتى ندهتني أختي وطلبت من المصور أن يلتقط صورة لي أنا وهي فقط.. فتقدمت نحوها بخطوات انتصار وزهو كأنني في طريقي لاستلام الأوسكار، موجهًا نظرات الكيد لزوجها وأنا أشعر أن كرامتي تعود لي أخيرًا.

انتهى كتب الكتاب دون فرح، عائلتنا كئيبة لا تحب الأفراح ولا تستطعمها، كان العشاء، ثم الزفة بالسيارة لبيتهم، أطبع قبلة حزينة على خدها كأنني لن أراها مرة أخرى، أراقبها حتى تختفي من مدخل العمارة، وأشعر بعدها بفقدان البوصلة، كنت مرهقًا جدًا من فرهدة الأيام السابقة، ولكن في نفس الوقت لا أريد الرجوع إلى البيت، لا أريد الرجوع وهي ليست هناك..

ظللت أتمشى في الشوارع طول الليل، حتى خرج عليا الصباح ، أسير بلا انقطاع وبلا تعب.. جلست على الرصيف وتذكرت حين جاوبتها بأني مبخافش، وتمنيت أن يعود بي الزمن للوراء لأخبرها بأني كداب وأني بخاف.. بخاف اروح البيت مالقكيش، وبخاف البيت يضيق عليا ف غيابك، وبخاف مانتخانقش تاني، بخاف أحب عشان متكسرش، وبخاف أتجوز عشان متكتفش، وأخاف لو اتجوزت ميطلعش زي الأفلام، آجي أحضنها من ضهرها وهي بتطبخ فلاقي ريحتها حواوشي، وأن الشموع متتولعش غير لما النور يقطع، وبخاف في الأول نحدف بعض بريش النعام وبعدها بالنعام نفسه، وبخاف حد يقولي عايزك في حاجة مهمة، وبخاف من قلة التقدير، وبخاف من الاهتمام الزيادة، وبخاف من اللي بيشوفوا فيا الحاجات الحلوة بس، وبخاف أكتر من اللي ماشافوش مني غير الوحش، وبخاف من اللي حاسبوني على أوحش حاجة عملتها ونسيوا كل الحاجات الحلوة، وبخاف من المطار ولحظات الوداع .. وأحب أصحى من النوم ألاقيهم سافروا، وبخاف من ريحة المستشفى وطعم الدوا، وبخاف أروح الترب، وبخاف من صفحة الوفيات في الأهرام، وبخاف حد يفتكرني فجأة، وبخاف الناس تتغير، وبخاف أكون اتغيرت زيهم من غير ما أحس، وبخاف شغفي تجاه الحاجات يقل، وبخاف مقدرش أحب حد زي ما حبني فيكرهني، وبخاف طاقة حبي لشخص تكون أكبر منه فيبعد.

وبخاف أمشي محدش يمسك فيا، وأخاف لو مسك مايكونش من قلبه، وبخاف اختار غلط .. وبخاف أكتر أدافع عن اختياري وأنا عارف إنه غلط، وبخاف أحكم عقلي فمنبسطش..وأخاف لو حكمت قلبي أروح في داهية.

بخاف من زعلي ياخد أكبر من حجمه، وبخاف من دعوة غلط تتحقق، بخاف فرحتي تبقى ناقصة وبخاف اللي بتمناه مايكونش مكتوب.. وبخاف المكتوب مقدرش استحمله!..

أنا بخاف.. أنا كل حاجة بتخوفني.

زعلت أوي لما تخيلت إن ممكن أصحابي يغدروا بيا، بس زعلت أكتر لما
افتكرت إني مليش أصحاب أصلًا!

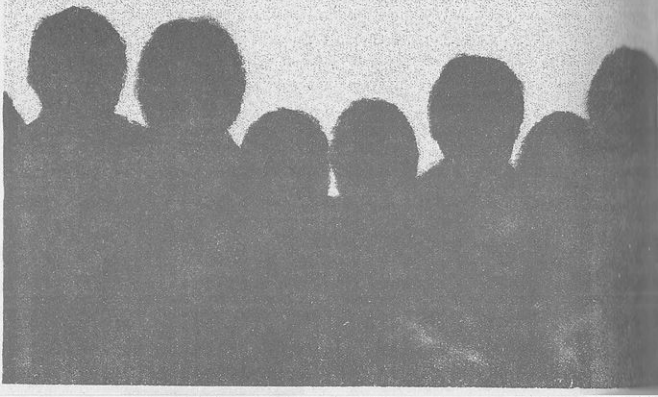

ضيف تقيل

كانت ليلة مخيفة بحق، ساعة ونصف من مشاهدة فيديوهات غريبة عن خروج الجن من الإنسان .. وساعتان وأكثر في محاولة للنوم، أكاد أغلق عيني حتى أرى شياطين تتسابق بالتكاتك وبني آدمين بثلاثة أذرع يجرون ورائهم ودجاجات تطير من فوقهم والمسيخ الدجال يحييهم وهو يقف على ناصية كشك يشرب الكولا المثبرة، لم يكن مخططًا أبدًا أن تكون تلك الليلة بهذا الرعب، وصدقني لا أعرف كيف وصلت لهذه الفيديوهات، بدأ الأمر بفيديو «شاهد لحظة بكاء منى الشاذلي على الهواء» على اليوتيوب، ثم فيديو جر فيديو حتى تم استدراجي لفيديوهات العفاريت في نهاية صادمة كنهايات الحياة الحزينة.

كاد النعاس يسيطر على الهلاوس بعد معركة شرسة، حتى استيقظت على صوت خرفشة .. تخيلت أنها تهيؤات وهلاوس وآثار ما بعد الرعب ولكن الصوت كان يزداد، تمسكت أكثر بالبطانية وأنا أتأكد أن الصوت حقيقي، ويمر في ذاكراتي كل الفيديوهات التي رأيتها وكل القصص التي سمعتها خاصة قصة صديقي الذي قام العفريت بغسل المواعين لخالته ليلًا، في كل الأفلام الأجنبية يسمع البطل ذلك الصوت الغامض فينصاع للفضول،

ويفتح الباب فيهجم عليه العفريت، لذا فلن أستسلم لتلك الخدعة، وسأظل نائمًا على سريري ليهاجمني العفريت وأموت موتة الرجال، بعد دقائق اختفى الصوت وأيقنت أن العفريت أشفق عليا وانصرف وخلدت للنوم أخيرًا.

صباحًا، وأنا أبحث عن برطمان القهوة لم أجده في مكانه، ووجدته مكسورًا واختلط البن بالتراب، يبدو لي أن هذا الصباح لن يكون موفقًا كما أتخيل، قررت استبدال القهوة بدش صباحي بارد، فوجدت الفوطة وقد تآكلت أطرافها، خرجت مستاءً من الحمام ولمحته، فأر صغير يمر أمامي في الصالة بين الكراسي بسرعة رياضي يجتاز شريط الماراثون، كانت لحظة، ولكنني رأيته، وقفت أستوعب ما يحدث .. هل هذا حقيقي فعلاً؟، كان ينبغي أن أتحرك وأتخذ قرارًا بشأن ذلك الضيف الثقيل، ولكنني أدركت في نفس الوقت أنني قد تأخرت على ميعاد العمل، وقررت تأجيل التفكير في أمره حتى أعود، ارتديت قميصي وشكرت الله أنه لم يلمحه، وقفت أمام المرآة ألقي النظرة على مظهري الأخير، وأستدير فأجد خرمًا دائريًا واسعًا في ظهر القميص كأنني خرجت توي من معركة حربية تلقيت فيها قذيفة.. يا حيوان!

أفضل طريقة للتفكير في موضوع ..ألا تفكر فيه أصلًا، سياسة دائمة أتبعها وتنجح، كنت محتاس فى الشغل حتى توصلت لقناعة ما، سألت نفسي لماذا لا نعيش سويًا كأصدقاء في بيت واحد؟ لماذا احتكرت على نفسي إنه ضيفي، ولمَ أطرح على نفسي فكرة أنني ربما أكون أنا الذي ضيفه، فهو كائن حي مثلي تمامًا، الفرق إنني ولدت بقدمين وهو على أربع وكان من

المحتمل جدًا أن يحدث العكس، فهل لو كنت فأرًا هل سأرضى أن يعاملني هو كبني آدم بهذه القسوة؟

لقد كنت طوال الوقت متعاطفًا مع «جيري» الفأر ضد «توم» القط الذي كان يستغل ضخامته كقط ويفتري على جيري الغلبان، وعما فعله الفأر هذا الصباح فأنا أعذره، فباب الثلاجة كان مغلقًا، وربما كان جائعًا بطريقة هيستيرية وعند الجوع نتصرف كالحمقى..أنا نفسي أحمق جداً عندما اجوع، فعدت للمنزل ويدي تحمل ثمن كيلو رومي ورغيف فينو كـ عشاء يليق بصديق حميم. تركت وجبته له وخرجت، وتأخر الوقت، فقررت المبيت عند أحد أصدقائي، وعندما عدت للمنزل في اليوم التالي كانت المفاجأة، المخدات خرجت أحشاؤها، والبطاطين انتهك عرضها وبظ القطن منها من كل جانب، وملابس كثيرة لن تعود للاستعمال إلا كـ ذكريات، ظننت في البداية أنه جهاز أمني سري يبحث عن دليل لإدانتي، أو ربما عصابة مافيا تحاول تجنيدي، ولكنه كان الذي عقدت معه السلام ومددت له يدي بالخير.. السافل!

وفي المطبخ وجدت أنه بعد أن أكل طعامه، هجم على طعامي، فلم أجد إلا بعض بقايا قطع الجبن، وآثار توست وأغلفة قطع الشيكولاتة والبسكويت، بحثت عنه في الأجواء ولكنني لم أجده، توقعت أنه عمل عمليته وخلع، دخلت أنام وفجأة شعرت بأقدامه فوق جسدي ليلاً وأنا نائم، انتفضت وانخلع قلبي من الخضة، فقد كان يختبئ الوقح في غرفتي، وأغلب الظن يدبر لاغتيالي، وهنا أدركت أنني كنت مخطئًا عندما قررنا التعايش سويًا.. لم يعد من الآن ضيفًا بل عدوًا، يا أنا يا هو في البيت ده!

وقتها أدركت أن «جيري»، لم يكن مظلومًا، هو كان يستاهل اللي جراله لأنه كان يستفز «توم» طول الوقت، وما كان يفعله بـ «جيري»، كان فقط رد فعل ليس إلا، لكم الاستفزاز الذي يتعرض له تمامًا كما سأفعل مع جيري بتاعي أنا.

فقدت التركيز في العمل، يضحك الأصدقاء في تجمعنا، وأنا أسرح بخيالي أتخيل ما يفعله الفأر في بيتي الآن بعد أن احتله، أتخيله يجلس على سريري فاتح حسابي على الفيس بوك يشيت مع أصدقائي، أتخيله وقد احتل الكرسي القطني الضخم ويجلس أمام التليفزيون يقهقه على إفيهات أفلام الكارتون، أتخيله وقد استغل غيابي وقد عزم حبيبته على سهرة حمراء في غرفتي وسط الشموع وموسيقى عمر خيرت وقد أقنعها أنه بيته هو .. لذا لم يبقى أمامي إلا أن أستعيد بيتي منه ومهما كلفني الأمر من ثمن.

اشتريت له مصيدة نحاسية، وأعددت له وجبة فاخرة تليق بطباع مثله.. توست مغطى بالجبنة الفلمنك، دخلت لغرفة النوم أمارس عادتي المفضلة، الا أفكر فيما أفكر فيه حقاً.. بدأت أقرأ في كتاب رخيص عن الجنس لدى المراهقين، حتى سمعت أحلى صوت في حياتي، صوت إغلاق المصيدة وحصار الفأر.. وجدته مذهولًا لا يصدق ماحدث له، كأي مجرم يجد نفسه بين لحظة وأخرى في قبضة الشرطة، كان يلف حول نفسه، يحاول أن يخرج من عواميد المصيدة، كانت تنتابه هيستيريا وهو لا يصدق أنه الذي كان يبرطع في كل تلك الشقة، أصبح الآن أسير تلك المساحة الضيقة جدًا، وعندما أدرك الأمر الواقع ، وأدرك أنه لا مفر ولا هروب، هدأ واستقر بمكانه.

نظرت له نظرة كأب يفكر في عقاب لابنه، فشعر بالذنب، ووضع رأسه في الأرض، أحدثه وأنا أنظر في عينيه: «ليه عملت كده، اديني مبرر واحد ..أنا قصرت معاك ف ايه؟» ، فينظر للناحية الأخرى ويهرب من المواجهة، كان يدرك أن نهايته قد أتت..أشعر به وقد مرت به كل ذكريات حياته في شريط سينمائي.. نشأته المتواضعة في المجاري، أصدقاؤه السوء، صديقته التي كانت تستغله، وأخيرًا البلطجة والتهجم على بيوت الناس.

كان يشك أن نهايته على أيدي، وكان شكه في محله بصراحة ، قررت أن أصدم رأسه في جدار المصيدة فيموت في الحال دون تعذيب، أمسكت المصيدة واستعددت لقرار الإعدام، سألته : « نفسك ف ايه قبل ماتموت؟» فذرف دمعتين من دموع الندم وقد صعبت عليه نفسه فى هذا الموقف الصعب، لحظتها بكيت أنا ايضاً.. و شعرت بأنني ربما أظلمه وربما يستاهل فرصة أخرى، قلت لنفسي من فينا ملاك؟ أنا أيضًا أخطأت كثيرًا وطلبت من الآخرين فرصًا أخرى، يكفي ما يشعر به من الندم وربما أكون أنا درس يتعمله فى حياته ويصبح بنى أدم جديد .. قصدي فأر جديد، فتحت باب الشقة، ثم فتحت باب المصيدة، فانطلق زي القرد على درجات السلالم، وهو لا يصدق نفسه إنه أتكتب له عمر جديد، ودمعت عيناي من فرحته، وأنا أقول لنفسي يااه فعلًا لا يشعر أحدنا بنعمة الحياة إلا إذا ذاق خطر الموت.

على السرير كنت أودع ليلة طويلة وشاقة، أستعد للنوم، آخذ نفسًا عميقًا أتخلص به من كل أرق الوقت السابق، تكاد تغفل عيناي حتى يعود ذلك الصوت الذي أعرفه جيدًا، صوت خرفشة، وقتها تمنيت لو كان عفريتًا.. ولكنه كان الفأر مصطحبًا أسرته.

تعبت من الجري، الجري ورا حاجات، والجري من حاجات، وتعبت من اللف ورا حاجات تودّيني لحاجات تانية، أنا خايف موصلش.. وخايف أوصل اكتشف إن مش ده أصلًا اللي كنت عايزه!

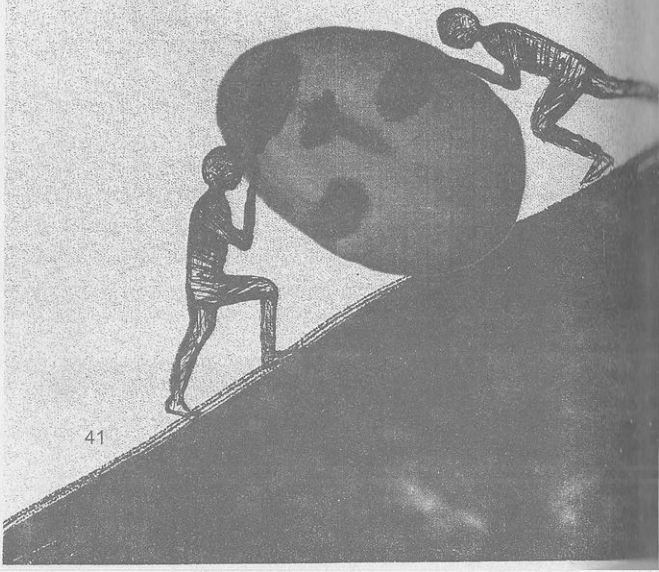

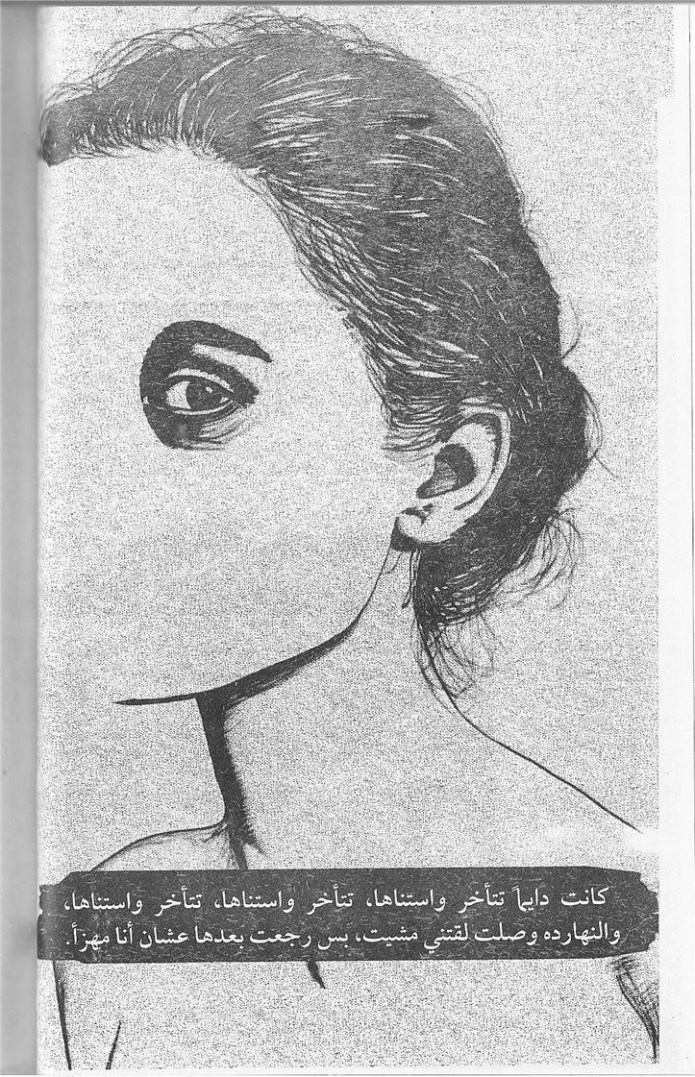

كانت دايماً تتأخر واستناها، تتأخر واستناها، تتأخر واستناها، والنهارده وصلت لقتني مشيت، بس رجعت بعدها عشان أنا مهزأ.

القواعد الخمسة

كان الصباح لطيفًا حتى وجدت تلك الرسالة على صندوق رسائل الفيس بوك، «آسفة بس لقيتك الوحيد اللي موجود أسأله.. صحيت لقيت العصفورة بتاعتي ماتت، تفتكر دي إشارة؟».

لم أكن أعرفها، ولكن ما أعرفه أن موت عصفورة لا يصل بنا لهذه النقطة السوداء من الحياة، أدركت أنه سبب ظاهري لاكتئاب حقيقي، وأنها ترى الأشياء بسوداوية جعلتها تفسر الأشياء كما تريد تفسيرها وليست بحقيقتها، فتجاهلت كلامها تمامًا وسألتها: «إنتي كويسة؟»

فكتبت «بنديلهم كل حاجة فلما يمشوا بياخدوا كل حاجة.. دي كانت غلطتهم إنهم مشيوا، ولا غلطتنا إننا مستخسرناش فيهم حاجة؟».

واضح أن إجاباتي ليست مهمة، لأنها لا تنتظر ردًا أصلًا، كانت ممتلئة بكل الأسئلة الصعبة التي تحتاج لوقت وتفكير كبير للرد.. انتظرت ثانيتين للتفكير ثم أخذت أصابعي وضع الكتابة ولكنها فاجأتني وسبقتني «بس الغريبة إن مكنش فيه أي حاجة باينة.. ولا تفتكر كانت باينة وأنا اللي مكنتش شايفة؟».

فجاوبت سريعًا:

«لا هي الحاجات بتبقى باينة من الأول وإحنا اللي بنطنش».

فردت:

«تخيل وأنت بتقع، ملقتش غير إيد اللي زقك، هتمسك فيها ولا هتسيب نفسك تقع؟».

هنا ارتبكت جدًا، انخطفت، شعرت بالقلق عليها وطلبت منها رقمها، هاتفتها وردت بعد ثالث اتصال، كان صوتها مكتومًا كأنه يرفض الخروج، فاستنتجت أنها ظلت لفترة لا تتكلم، كانت كلماتها بالتليفون أشبه بما كانت تكتبه، جمل غير مرتبة وغير مفهومة، كنت أسمعها بتركيز، أحاول أن أصنع من الجمل موضوعًا مفيدًا، حتى قالت بصوت مبحوح: «أنا آسفة جدًا بس إيه فايدة الكلام لو مش هيرجع اللي فات.. ولا هيغير اللي جاي»، ثم بكت و أغلقت الخط.

كان أول موعد لمقابلتنا صعبًا، بذلت مجهودًا ضخمًا لكي أقنعها بأن ترى الشارع مرة أخرى، فهي لا تعمل وليس لديها أصدقاء، قابلتها .. كانت أشبه بالمومياء.. أعراض قلة النوم وأمراض سوء التغذية تفترسها، وبعد ساعات من الصمت قررت تحكي، حكت لي بصوت منخفض حزين عن كيف كانت تتصاعد المشاكل بينها وبين حبيبها، وتطورها للحد الذي لم يصبح فيه مجال للتفاهم، وعندما شعرت بأن العلاقة ستنهار طلبت من صديقتها الوحيدة التدخل، وبالفعل تم الصلح.

- طب وبعدين ما أنتو اتصالحتوا أهه؟

- ما انا اكتشفت بعدها أنه بيخوني .

- مع مين؟

- معرفش.. بس البنت مننا مش هبلة يعني، تعرف كويس إذا فيه واحدة تانية دخلت حياة الولد ولا لأ.. إحنا عاملين زي القطط كده بنشم ريحة بعض.

لا أؤمن بتلك الأحاسيس السرية التي تؤمن بها كل بنت وتخبرها عن خيانة حبيبها كأنها الحاسة السادسة ولذلك سكت ولم أعلق، فأكملت الحكاية وقالت إن الموضوع تطور من مجرد الشك لليقين، بعد أن تحولت مكالمات الساعات الطويلة لدقائق قبل النوم، فأدركت أنه لو نقص الكلام معى فمعناه أنه زاد مع غيري ، وصارحت صديقتي عما يدور فى بالي، فقالت لي إني شكاكة زيادة عن اللزوم، ولكنني أكدت لها تغيراته وتحول العلاقة بيننا لعلاقة زوجين مر على زواجهما سبعين سنة، ولكنها عادت و أخبرتني بأن الملل طبيعي جدًا في العلاقات، وأنه واجب عليا التجديد.

- وجددتي؟

حاولت بس معرفتش، البنت الجديدة دي مكنتش مدياني أي فرصة أعمل أي حاجة حلوة.. كل ما أعمله مفاجأة بحسها بتعلى عليا لحد ما اكتشف إن كل مرة الدنيا بتبوظ أكتر.. فأسأله وأنا عارفة الإجابة: هو فيه حد في حياتك؟ فيقولي لا، وأقول يا رب ما يكونش بيكدب، رغم إني عارفة إنه

بيكدب.. لحد ما شوفتهم سوا مع بعض وجريت على صاحبتي أحكيلها بس ملقتهاش.

- ليه؟

- عشان هي دي اللي كان بيخوني معاها!

الرد فاجأني، شعرت فجأة بمدى نظرتي التافهة للمشكلة التي فعلًا كانت معقدة، انتابني إحساس بالشفقة جدًا ناحيتها فجأة فهربت منها برشفة من مج اللاتيه..

فأكملت هي بثبات انفعالي عظيم :.

- كانت أذكى مني بكتير، كنت بحكيلها كل حاجة عننا، اتخانقنا النهارده ليه، صالحته إزاي، استفزيته إزاي، بيحب إيه، بيكره إيه، ولفت من ورايا استخدمت كل المعلومات دي عشان تقربله، وهو حس إنه لقى فتاة أحلامه اللي بتبسطه.. العبيط المتخلف.

- طب بذمتك دي ناس تستاهلي تسيبلهم الحياة وتمشي ورا عصفورتك.

- مكنش عندي غيرهم، هما كانوا حياتي اللي راحت.

- أيوه بس الهروب مش حل؟

- ساعات بيبقى الحل الوحيد للمشكلة إنك تبعد عنها.. إنك تبعد عنها خالص.

- وساعات العكس على فكرة، الحل إننا نواجها أكتر.. نواجهها بالمسافة اللي تبقى عنينا في عين اللي أذانا ونقوله إحنا متكسرناش .

صمتت وشردت، نظرت لعينيها، فعرفت أنها لن تبكي، عيناها بكت بما فيه الكفاية، ووصلت للمرحلة التي يصبح البكاء فيها شيئًا مبتذلًا ..فقلت:

- الحياة ماهاش ذنب باختياراتنا الغلط.

- ماهاش ذنب إزاي، وهي اللي حطتهم قدامنا عشان نختارهم.

- سمعتي عن قواعد مصطفى الخمسة؟

- لا .. ومش مهتمة أسمع بصراحة .

- ١ -

قالت لي إنها لم تفكر في العمل من قبل، تشعر بأنه لا شيء جديدًا تستطيع أن تعمله في أي مكان، وأنها تحمل هم سؤال الإنترفيو الشهير «وجودك هيضيف إيه في الشركة»، لأنها لا تملك عليه أي إجابة، أما الناس فهي لم تكن تمتلك إلا حبيبها وصديقتها السابقين.

أؤمن تمامًا أن وجود أشخاص بجانبنا لا يحل المشكلة أو الأزمة، هو فقط يخفف من أثرها، لهذا اخترع البني آدم فكرة العزاء، أن يقيم صوانًا كبيرًا ليجمع من يحبهم ..لا لكي يعيدون الميت بل ليخففوا من أثر فقدانه

ويملأوا فجوة الرحيل، تمامًا كمهمتي أن أخفف حدة فقدها، كانت كطفلة وحيدة لا تريد إلا شخصًا يهتم بها، فأصبحت لها الأم الذي يهتم بأكلها وشربها، والأب الذي يشعرها وجوده بالأمان، وأصبحت دكتورها النفسي الذي يستمع لأفكارها السوداء التي تحاصرها، والأخ الذي ترتمي في حضنه ليلًا عندما يفاجأها كابوس أثناء نومها، وصديقها الذي يشاركها الفود كورت في المول والكرسي فى السينما، أما بقية الوقت فأنا مهرج اختلق قصصًا ومواقف تنتزع ضحكتها بصعوبة، وعشت أيامي أتجنب أي ذكرى قد تصيبها بالحزن ولو من بعيد.. تمامًا كطبيب يمسك مشرطه بحرص أمام قلب مفتوح، وأنا الآن أمام قلبها أحاول أن أزيل الحزن و أضع بدلًا منه سعادة، حتى شعرت بأنني استعدتها مرة أخرى للحياة..ولو جزئيًا، فأصبحت تتكلم معي بطلاقة، وأخيرًا استطاعت النوم لفترات متواصلة، وعادت لها ضحكتها التي نسيت وجودها وعادت الحياة لها بالألوان بعدما ظنت أنها ستظل طول عمرها حبيسة اللون الأسود، وكانت تلك هي القاعدة الأولى:

«أزمات الحياة تتضاعف بالوحدة والفراغ، الوحدة متعلقة بالبني آدمين، والفراغ متعلق بالوقت».

- ٢ -

كنت أعمل سرًا على القاعدة الثانية، أخبرتها بأن ألوان غرفتها كئيبة للغاية، وقادرة على خلق النكد حتى لو كان رفيقك بالغرفة سمير غانم، لا

أؤمن عمومًا بعلم الطاقة والتنمية البشرية، ولكن أتكلم عن الراحة النفسية لرؤية الأشياء، فرفضت وتمسكت بألوانها البائسة، تعودت منها خلال تلك الفترة أن تقوم بالرفض على كل شيء أقترحه قبل حتى أن أكمل ما أود أن أقترحه، ولكن هذه المرة ومع بعض العناد توصلت معها لتغيير لون حجرتها للأزرق الفيروزي، لا أفهم كثيرًا في الألوان ودرجاتها، ولكن أفهم أن تنظر إلى لون ويجعلك مرتاحًا، وهذا اللون بدرجته كان كذلك، ظهر هذا جدًا عندما تمت العملية بنجاح بعد يومين كاملين من عملية الطلاء، كانت فيها أسطى، وكنت أنا مشرفًا عليها من خلال كاميرا «الإسكايب» ، سألتها بعدما أنتهينا هل تشعر بفرق ؟ فتعمقت بنظرتها في اللون وفي غرفتها وقالت إنها تشعر بأنها غرفة جديدة، وقتها طلبت منها أن تفتح باب شقتها بعد خمس دقائق، انتهينا من العد، ورن جرس الباب فوجدت هناك شخصًا بالخارج ينتظرها يحمل صندوقًا، فتحت الصندوق وأنا معها على الخط، كان شيئًا ضخمًا ملفوفًا بورق الجرائد وبرواز، أخرجت البرواز وكان صورة كبيرة لمارلين مونورو، إبتهجت عندما رأتها، ثم قامت بتعليقها بمنتصف الغرفة، فظهرت حلاوة تفاصيل اللوحة كأنها بمتحف، ثم طلبت منها أن تحرر ذلك الشيء المجهول من ورق الجرائد، فكان جهاز جرامافون قديم، ظننت في البداية أنه ديكور، ولكنني طلبت منها أن تضع الأسطوانات التي برفقته، فوضعت إحداها بالفعل، ولكن الجهاز لم يعمل.. شعرت بالإحباط وأنا أتذكر نصيحة بائع الأنتيكات بوسط البلد بأن أحافظ على الجهاز من التعرض لأي صدمة، مرت اللحظات ثقيلة وأنا أشعر بخيبة الأمل والمفاجأة التي لم تتم، ووسط لحظات الاحباط انطلق فجأة صوت مطرب فرنسي عتيق من الجرامافون وكدنا أن نصاب بهيستريا من الفرحة، أنا وهي

نجهل الفرنسية ولم نفهم كلمة توحد ربنا من المطرب.. ولكن الموسيقى مع صوت الرجل الفخيم كان يسحب قلبك رغمًا عنك لعالم سحري، اندمجت هى مع صوت الرجل وموسيقاه، ثم نظرت لصورة مارلين، ثم حلت الكحكة من شعرها فانسدل على كتفيها، ورفعت فستان نومها البيتي بدلع تمامًا مثل صورة مارلين، ثم بدأت ترقص بكلاسيكية كأنها تحت برج إيفيل في ليلة أربعينية ممطرة، وفي تلك اللحظة كانت القاعدة الثانية تتحقق: «اتعامل مع الحياة على أنها شوية تفاصيل.. لو غيرتها هتغيرك».

- ٣ -

التغيير بطبيعته يصنع مقارنة، والمقارنة كانت في صالح غرفتها الجديدة المبهجة، أخبرتني أنها سعيدة، ولكنني كنت أشعر بأن شيئًا ما ينقصها، التفاصيل من حولك حتى وإن كانت جميلة فإنها في النهاية بلا روح، كان المكان يحتاج للدفء، لروح تشاركه التفاصيل، آدم نفسه شعر بأن الجنة مكان موحش، لأنه خالٍ من الونس، فخلقت حواء من ضلعه تؤنسه وتؤازره على الوحدة.

وكنت قد أعددت الخطة وأخبرتها بأنني بمدخل عمارتها ومعي ضيف، استغربت ولكن الفضول غلب الكسل وقابلتني بالمدخل، وهناك أصيبت بالذعر، ولم تجد طريقًا للهرب سوى أنها قفزت على كرسي البواب.

- أقسم بالله أنت بتهزر، خده وأمشي من هنا فورًا.

- متخفيش ده جرو والله ما بيعض.

- أنت عارف كويس إن عندي فوبيا منهم.

- إنتى عارفة إن فوبيا الكلاب دي تالت فوبيا على مستوى العالم بعد الضلمة والمرتفعات.

- لا وفيه فوبيا هتبقى منك أنت شخصيًا لو ممشتش من هنا!

- المهم الدكاترة شافوا إيه بقى، إن علاج الفوبيا إنك تواجهيها عشان تبطلي تخافي منها

لو انطبقت السما على الأرض مش هلمسه.

- بتنقي فيا ولا لأ؟ !

- لأ.

- طب شوفتى.. قربي منه بقى ومش هيأذيكي.

نزلت من على الكرسي، ثم بدأت تقترب ببطء وجسمها ينتفض والجرو ينظر لها بحنية وهو تحت يدي ألاعبه، اطمأنت لهدوءه فاقتربت أكثر منه، ثم أمسكت يدها وهي مرتعشة، ووضعتها على ظهر الجرو، فتحسسته وأنا يدي فوق يدها، وفجأة انتفض الجرو ليشمها، فصرخت، ثم ضحكنا، ثم أخبرتها بأن شمه لها هو بطاقة تعارف ليس إلا، وأمسكت بيدها مرة أخرى ووضعتها على الجرو ولم أضع يدي تلك المرة، فأصبحت يدها تمر على

جسده الصغير دون حاجز أو حافز والأهم دون رعب.. سألتها «هتسميه إيه بقى؟».

- هشام.

- هو كان اسمه هشام؟

- إيه ده عرفت منين؟

- أصل أنا قطتي اسمها بثينة.

صمتنا لثانية، ثم نظرنا لبعض وانفجرنا في الضحك.

- طب وإحنا ليه عملنا كده؟

- تقدري تقولي إنها حيلة نفسية للانتقام، حيلة انتقامية نفسية، بتاخدي منه حقك بطريقتك، تعالى يا هشام.. روح يا هشام، اعمل بيبي يا هشام، هنفخك يا هشام.

مددت يدي ناحيتها بكيس أسود وأنا أقول مودعًا «ماتنسيش تأكليه»، تركتها وأنا أراقبها بعيني من بعيد، وهي سعيدة بوجود ونيسها الجديد، وإن كان لا يزال في نفسها بعض الحذر، أما أنا فكنت أكثر سعادة لأنه تم تحقيق القاعدة الثالثة

«خوفنا جوانا بيبقى أكبر بكتير من الحاجة اللي تخوف أصلًا».

— ٤ —

كان جزء من الوحدة قد انتهى ولكن تبقى رواسب منه بداخلها، هي فاقدة الثقة في الجميع.. وبعد معاناة معها أصبحت فاقدة الثقة في كل الناس إلا أنا، ولكنني لم أكن مرتاحًا لذلك، أخاف عليها من نفسها في تلك الفترات الصامتة ، الفترات التي تقضيها في الأوقات التي أكون مشغولًا فيها عنها، وفي نفس الوقت لا أريد لها أن تكرر أخطاء الماضي، بأن تجعل شخصًا واحدًا محور حياتها حتى لو كنت أنا، أخشى أن يحطمها غيابي، وأخشى أن يطمئنها وجودي ولكن يبقيها منعزلة.

فاتفقت مع اثنين من أصدقائي أن يقابلاني في الكافيه الذي أجلس معها فيه، وأخبرتها بعد أن خرجنا أنني قد نسيت أنني قد اتفقت مع صديق لي وصديقة على مقابلتهم بنفس الموعد، ولا حل لذلك سوى أن نلتقي جميعًا فرفضت ذلك العرض، فرجوتها بأن تقبل لكي لا تضعني في موقف محرج معهم، وأخبرتها بأن الأمر لن يتعدى النصف ساعة، وبالفعل قابلتهم، جلس الشاب بجانبي والفتاة بجانبها، كنت أتكلم مع صديقي، وأراقب علامات التوتر على ملامحها، تحاول أن تبدو طبيعية، ولكن أنا وحدي أشعر بفيضانات القلق والتوتر داخلها، استأذنت منهم أن أذهب للحمام، وهنا وضعت يدها على قلبها من الورطة التي وضعتها فيها، لم تنطق ولكنها كانت تنظر لي باستغاثة كأنها تسألني كيف تتركني مع هؤلاء الوحوش؟، وقفت في الحمام أمام المرآة أضيع الوقت وأمرر الدقائق حتى عدت إليها، وقد كان ما استهدفته، وجدتها تتكلم مع الفتاة، صحيح أنه كان بقليل من الطلاقة ولكن بكثير من الراحة، إنه تطور عظيم، وفي نهاية اليوم تبادلوا

ارقام الموبايلات ومع الوقت دخلت الشلة، وأصبحت صديقتنا ولا نخرج بدونها، يسألونها عني ويسألوني عنها، واندمجت معهم جدًا لدرجة أنها خرجت معهم بمفردها مرة عندما اعتذرت فجأة عن الخروجة، وقد حققت القاعدة الرابعة

«كلنا أغراب فحاول تشوف الغريب اللي شبهك عشان متحسش بالغربة».

— ٥ —

انتعشت حياتها ولم يعد هناك وحدة، هشام الشخص انتهى، وحل محله هشام الكلب، وأصبح بدل الصديقة الوحيدة العديد من الأصدقاء، لكن بقي الفراغ، كان الـ «سي في»، الذي تمتكله يقول إنها عادية جدًا، لا يؤهلها للعمل في أي عمل مميز، وبدأت رحلتي للبحث لها عن مكان عمل آمن نفسيًا، ولكنني فشلت بنسبة كبيرة، حتى أخبرتني بأنها لم تجد إلا وظيفة كول سنتر، عارضتها: «لا، كول سنتر إيه إحنا لاقيينك في الشارع!»، ولكنها أصرت على التجربة، في أول يوم عمل انتظرتها على باب الشركة، كأم تنتظر طفلها أول يوم مدرسة، فخرجت شاحبة الوجه، وما أن رأتني حتى انهارت في البكاء، ست ساعات من صراخ وشكاوى العملاء في أذنك كفيل لك أن تنهار.. فما بالك بشخص في رقتها، عزمتها في مطعمها المفضل لكي نتجاوز ما آثار ما حدث، ومن أجل تغيير الموضوع سألتها عن تلك الميدالية الغريبة التي تعلقها بالموبايل فأخبرتني بأنها من صنعتها في

وقت فراغها وهى تقاوم الملل، فسرحت لثانيتين، ثم قذفت الشوكة فجأة من يدي بداخل الطبق وأنا أصرخ :

- طب ما الشغل أهه، بنلف وندور حولين الشغل ليه .. إحنا نعمل الميداليات دي ونبيعها!.

- هو حد هيشتري الكلام ده؟

- آه طبعًا، نجرب هنخسر إيه.. الحاجة اللي شاطرة فيها حرام تعمليها ببلاش..

صممت لها صفحة على الفيسبوك لبيع منتجاتها، وسط سخرية منها بأن المشروع سيفشل قبل أن يبدأ، ولكن المفاجأة كانت طلبية بخمس ميداليات وجدت بأول ساعة من إنشاء الصفحة، وبالفعل أنجزتهم هي في يومين ثم سلمتهم لزبونها وكلمتني وهي تكاد تطير من فرحتها غير مصدقة ما يحدث، كانت مفاجأة لها هي، أنا عن نفسي لم أتفاجأ لأنني الشخص الذي طلبتهم دون علمها، وأرسلت صديقًا لي يشتريهم لي كدعم نفسي لها.

ومع الوقت بدأ فعلًا المشروع يتحرك، وكثرت الطلبيات الصغيرة، وعندما أتممت لها صفقة مع أحد محلات الهدايا الكبرى، بدأت تفكر في إنشاء ورشة صغيرة لها تصنع فيها ما تنتجه حتى توسع نطاق عملها، فاستوجب ذلك مزيدًا من العمال، وأصبحت هي مديرة الورشة الصغيرة وليست عاملة بها، وقد تحققت القاعدة الخامسة

«الدنيا زي اليويو، لو وقعت منك سيبها تاخد لفتها عشان هترجعلك تاني».

كنت أتابع نجاحها بهدوء حتى زارني ذلك الإحساس الذي لا يمكن مقاومته أو الهروب مته، حاولت أتجاهله ولكنني اكتشفت أنني كلما تجاهلته يزداد أكثر، أنا أحبها، لا أعلم متى وكيف حدث ذلك، ولكن تلك هي النتيجة، حاولت تأجيل إخبارها بذلك كثيرًا حتي تأتي اللحظة المناسبة..

وفي تلك الليلة شعرت بحمل ثقيل على قلبي، وأنه يجب عليا الاعتراف حالًا، كنا نسير معاً ونضحك وفجأة وقفت في نصف الشارع وأخبرتها بأنني أحبها وإنني لا أستطيع تحمل السر بقلبي أكثر من ذلك، فتوقفت هي الأخرى، ثم صمتت لثانيتين، وقالت بنبرة خالية من المشاعر : «وأنا مبحبكش»، تجمدت في مكاني من المفاجأة، شعرت بالهزيمة، وكأنها صفعتني على وجهي بالكلمة ، فجمعت قوتي وسألتها «هو أنا متحبش؟»، فقالت بكل ثقة وهي تتجنب النظر لي « أنت أو غيرك مش فارقة، أنا بطلت احب خلاص.. الاهبل هو اللي ينط من على سور المدرسة عشان يرجع يدخلها تاني من الباب»، كنت أود أن أقول لها: وهل لم تشعري بالفرق ؟.. ألم تجدي هنا حبًا حقيقيًا مخلصًا يمحي آلام الماضي ؟ ، ولكنها رحلت قبل أن أسألها، رحلت بكل سلام نفسي، بينما أنا أشعر بأنني أموت فـــ مكاني، لم أجرب إحساس الموت سالفًا، ولكنه بالتأكيد أهون مما أنا فيه، كنت مكسورًا ..كنت مكسوراً بالكامل.

يأتي الناس إليك بقلوب ممزقة، وأحلام مشوهة ونظرة سوداوية، يعيشون حياة كالأموات بلا تفاعل ويحيون وهم بلا روح، ف تجبهم وهم محطمون.. تجبهم في الوقت الذي يكرههم فيه الناس ويكرهون أنفسهم، في الوقت الذي يكون اتخاذ قرار تافه يحتاج لطاقة كبيرة منهم، تمد يدك وتحمل روحك

كل أحزانهم وتعيد لهم روحهم المستهلكة بروح جديدة نشيطة، فيرجعون للحياة وأول قرار يتخذونه هو قتلك..

لم ألُم عليها أنها لم تحبني، لأن الحب ليس بيدها، كما لم يكن بيدي، ولكن لم أكن أتخيل أن يكون رد فعلها بقسوة لم أكن استحقها، كانت هي قوية للدرجة التي لا يهزها فيه أي شيء بينما كنت أنا مهزومًا للدرجة التي يكسرني فيه أي شيء، لا أشعر بأنها أخذت قوتي فقط، بل أخذتها وعاملتني بها فأصبح ضعفي مضاعفًا، كنت أحاول كل تلك الفترة أن أعيد لها ثقتها في نفسها، وفي البشر، وفي الحياة، وفي الحب، والليلة أحتاج لمن يعيدهم إليّ.. كنت موجودًا لعلاجها، والآن أنتظر علاجي.

اتأقلمت إن الحياة غير عادلة،
بس مش قادر كمان أتأقلم
إنها مش آمنة، الحياة مش آمنة
خالص، حتى وإنت مستخبي
في ركن على سريرك في
أوضتك، حتى وإنت مع أكتر
ناس بتحبها، حتى وإنت ماشي
جوه الحيطة مش بس جنبها.

كل يوم ربنا بيدهولي في حياتي مش عارف انبسط بيه، ولا أحس إنه عقاب، كل يوم الصبح بقول إنها فرصة جديدة أصلح بيها غلطات إمبارح، بس بكتشف إن كل يوم بزود الغلطات غلطة جديدة، لدرجة إني حاسس إن مفيش مكان لحاجة صح، نفس إحساسي لما أدخل أوضتي وألاقيها مقلوبة، فازاحم الكراكيب على سريري وأنام.

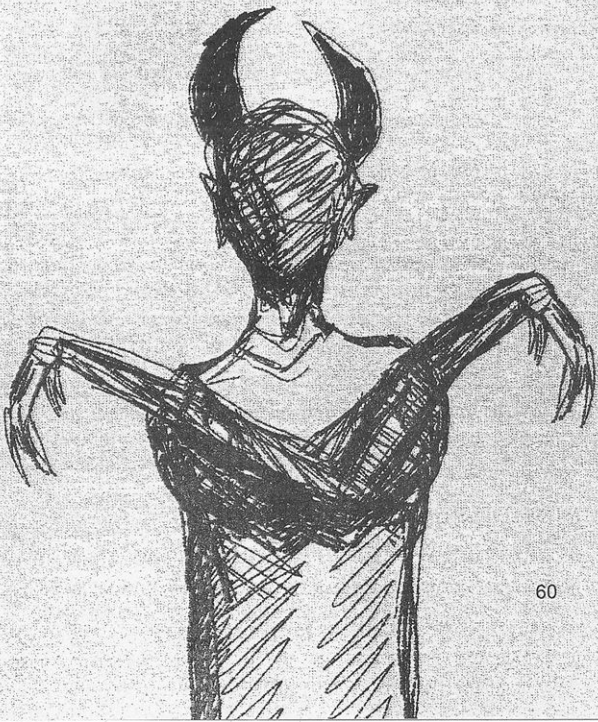

شقة ترى البحر

كان الجو باردًا، تلك الأيام التي تكره فيها النزول للشارع.. وفي نفس الوقت تمل من قعدة البيت، شعرت لوهلة بغدر الطبيعة عندما هطلت الأمطار فقررت المكوث بمكاني في الكافيه لحين استقرار الطقس والرجوع للبيت، فأصبح وجودي بالكافيه أشبه بالإقامة الجبرية لسياسي منكل به، أشرب قهوة بحليب ببطء يناسب إيقاع ما أمر به، وفجأة تم فتح باب الكافيه ودخل أحدهم حاملًا شنطة سمسونايت، التفت يمينًا ويسارًا فلم يجد غيري فاقترب باتجاهي وقال: «ممكن أقعد؟»، ولم يصبر حتى أرد وجلس بالفعل، الغريب أن الكافيه كانت كل طاولاته متاحة فمحبكتش يعني، انتظره حتى يمسح حذاءه، وأنظر له بفضول وترقب عما يريده، حتى بادر هو: «ممكن آخد من وقتك خمس دقايق؟»

تبًا، لقد وقعت في فخ أحد هؤلاء الباعة الثرثارين، وخد فكرة عن شواحن الموبايل وماكينات الحلاقة اللي بتحلق لوحدها، والشباشب اللي بتقلب صنادل في الشتا، حاولت أن أكون لطيفًا، فقلت له: «آخر خمس دقايق حد خدهم قبلك»، ثم اندمجت فيما كنت أقرأه.

وكأنه لم يسمعني، وكأنني مجرد ذبذبات، في خلع الكاب الذي يرتديه، ثم عصره بيده من قطرات الماء على الأرض، ثم وضعه على الطاولة، والتقط كوب القهوة من أمامي، وارتشف منه وانتشى بكل بجاحة ثم قال:

- ببيع شقق في العين السخنة، وعايزك تاخد واحدة.

كانت عيني على فنجان القهوة الذي تم خطفه من أمامي حالًا، وذلك العشم الذي يتعامل به والذي لا أعرف حقًا مصدره، فقررت إنهاء ذلك الموقف كله:

- طبعًا إنت جاي تشتغل أهلي، وتقولي صف أول على البحر.. وتفتح الشباك الهوا يطس فيك والهجص ده.

- لا خالص الشقق دي صف خامس من البحر، إنت تقريبًا عشان تشوف البحر محتاج تاخد توك توك.

نظرت له فوجدت ملامحه جامدة، لم يبتسم قاصدًا الدعابة، ففهمت ما يقصده بفراستي، وقلت له:

- آه يبقى هتقولي الشقة برخص التراب، وتقسيط على اتنين وسبعين سنة، ومش هتحس بيهم والخوارات دي.

- إطلاقًا، سعرها غالي بالنسبة لموقعها، يعني فيه حاجات كتير أرخص وفي أماكن أحلى.. أكدب عليك يعني!.

قال آخر جملة، ثم واجه عينيه بعيني أكثر وهو يحتضن فنجان القهوة بيديه ويشرب منه، وأنا أشعر بوجع مع كل رشفة كأنه يشرب من دم ابني، ولكنني استجمعت قوتي وواجهته بآخر كارت.

- آه يبقى هتقولي قرية متكاملة، سينمات، وجيمات، وملاهي، وهيسكن جنبي ماجد المصري.

فقال بنفس استهتاره:

- ولا حتى سما المصري وحياتك، القرية كلها تحت الإنشاءات، والعمارات مفيهاش أسانسيرات ..وفيه عيلين وقعوا فى البلاعات المفتوحة .

في تلك اللحظة تحديدًا أدركت أنه شخص معتوه، فأنهيت كل تلك المهزلة، ونظرت في كتابي وقلت له: «شكرًا مش عايز»، تخيلت أنه سينصرف بما تبقى من كرامته، بعدما طردته من على طاولتي، ولكنه نظر لي بكل هدوء، ثم أشار لموبايلي الموضوع على الطاولة وقال:

- موبايلك شيك أوي، تعرف إن تسعين في المية من المحلات بتاخد الشواحن الأصلية والسماعات من العلب ويحطوا بدالها واحدة شبهها بالظبط، ويقفلوا العلبة كأنها لسه جاية ويبيعوها، تفتكر إنت من العشرة في المية المحظوظين؟، إيه ده.. ده الموبايل فيه رصيد كمان، تسمحلي أسألك آخر مرة شحنت فيها وحسيت إنك اتكلمت فعلًا برصيدك ومتنصبش عليك في نص الفلوس كان أمتى؟

لم أرد على سخافاته، صحيح إنه أصاب الحقيقة، ولكنه سخيف..

- عندك عربية؟

هزيت رأسي بالموافقة.

- عارف إنت دفعت ضرايب وجمارك ورسوم أدارية أد إيه من تمن العربية، العربية مين غيرهم تعتبر ببلاش.. بس إنت مغفل!، وأحكيلي بقى آخر مرة العربية باظت منك، يا ترى التوكيل كان عند كلمته ولا باعك ؟.. متجاوبش أنا مش مستني إجابة، باعك أكيد.. أنا مش بسألك، وبتدفع كام بقى لكل سايس مقدمًا عشان خايف يجرحلك العربية، وبتدفع كام لسايس مشافكش أصلًا وإنت محتاس عشان تلاقي ركنة بس سبحان الله طلعلك وإنت بتتحرك؟

كان كلامه سريعًا ومرتبًا وللأسف مقنعًا.. لم يكن لديّ رد فحاولت الهروب بالشرب من زجاجة المياه، التي كانت أمامي..

- إنت فاكر المية اللي قدامك دي معدنية ؟

فزعني بجملته، فبصقت ما شربته..

- تعرف إنهم اكتشفوا إن مفيش ولا مية معدنية في مصر أصلًا، وكل ده نصب، ده كلام وزارة الصحة على فكرة مش كلامي، تقدر تقول إنها مية من غير طعم، بس ملهاش علاقة خالص بأنها معدنية، يعني تقدر تقول إنك بتشتري الإزازة.. هو عشان نكون واضحين مع بعض إنت مشترهاش ولا حاجة..هي اتفرضت عليك، وجه الويتر فتحهالك عشان يدبسك فيها، رغم إنك مش عطشان أصلاً بس جبت ورا عشان منظرك، طب سيبك من

دي ..هل انت مقتنع إن القهوة التعبانة دي تساوي اتنين وتلاتين جنيه؟ .. قول خمسة وتلاتين عشان هتكسف تمد إيدك على اتنين جنيه فضة.

كان كلامه كالرصاصات المتتالية، وكان الصمت على وجهي لا يعبر عن أي شيء، أحاول أن أتكلم.. ولكنني أتخرس.

- أنا آسف لو جبت سيرة الفضة، إنت تلاقيك مابتشوفهاش أصلًا، أصل إنت ملكش حق فيهم لو راكب تاكسي، ولو في سوبر ماركت هتاخدهم لبان، ولو في صيدلية هتاخدهم فوار، تخيل بعد ملايين الحضارة اللي خضناها في الحياة عشان نعيش العيشة المنظمة دي، آخرتها ناخد بالباقي فوار يا مؤمن.

كان هناك آثار صدمة نفسية حزينة واضح إنني تحت تأثيرها، لاحظ هو ذلك فأكمل دون رحمة ..

- مالك؟ أوعى تكون تعبان، أصل هتروح لدكتور ياخد منك كشف مستعجل، وهو أصلًا معندوش حد، ورغم إنك تمام بس لازم يكتبلك على دوا، لأنه متفق مع نسبة مع شركة الأدوية وبياخد منها هدايا وسفريات، ولأنه كمان متفق مع الصيدلية اللي تحته على نسبة، بس لازم تدفع طبعًا والا تكتئب.

كدت أن أنطق، فأكمل هو...

- تكتئب بقى وتروح لدكتور نفساني، وشوف رغم إن الموضوع عبيط، إلا أنه مش هيعدي كده، هيقولك عندك وسواس قهري وأقل حاجة

لحالتك عشر جلسات، وكل جلسة بتمنها، إنت مشروع استثماري هايل يا أستاذ.

- لو سمحت أسكت بقى و مش شغلك..

- شغلي؟ بمناسبة الشغل.. بتاخد كام في شغلك؟ لا مش عايز أعرف متخفش، أنا قصدي هل تفتكر إن ده المرتب اللي تستحقه فعلًا؟ تفتكر إنه مفيش حد بيعمل ربع اللي إنت بتعمله وبياخد أدك مرتين، وبياخد إجازات زي ما هو عايز لمجرد إن دمه خفيف على قلب المدير ومسلك أموره؟

- صرخت بغضب.. لو سمحت كفاية كده .

- إنت حتى مجبتش تمن تعليمك، إنت لو كنت وفرت الدروس اللي خدتها والملازم اللي اشتريتها كان زمانك عندك عوامة في النيل دلوقتي، إنما يا فرحتي بدروس النحو والصرف والإحصاء وإنت عايش حياة في الآخر ملهاش أي تلاتين لزمة زي منتا شايف كده، نفعتك بإيه حشائش السافانا دلوقتي؟!

- شعرت بضعف المقاومة مرة اخرى.. فقلت له: أنا بس كنت....

- كنت إيه؟ كنت فاكر إني جاي آخد منك حسنة صح، لا كفاية عليك البواب اللي بيستقطعك، والشحاتين اللي بيصعبوا عليك رغم إنهم أغنى منك، كفاية عليك الراجل اللي كل ما يقابلك يقولك أنا مش من هنا وعايز خمسين جنيه أروح، وكل مرة تقابله تصدقه وتديله برضه، كفاية عليك الست اللي ماسكة أشعة لقصبة الرجل وقالتلك إن جوزها محبوس في

العناية المركزة عشان ممعهاش تمن العلاج.. عشر سنين وهي بتشحت في المترو وبتقولك نفس الجملتين وبتعيط و برضه بتديها.. الراجل ده في العناية من ساعة إنت ما كنت في إعدادية بس هقولك إيه!

شعرت بالانكسار والضعف فقلت له: «أنا آسف».

- ومين قالك إني هقبل أسفك ولا هسامحك؟ إنت عارف إنت عملت فيا إيه، إنت مرضتش تشتري شقة مني لمجرد إني بقولك الحقيقة، أنا الوحيد اللي صارحتك، بس للأسف إنت عمرك ما حبيت الحقيقة، ولا اتعودت تسمعها، كان لازم اشتغلك زي ما كل الناس دي اشتغلتك عشان تدفع لي وإنت مبسوط، بس أنا آسف ده لا مبدئي ولا أسلوبي.

كان يستعد للقيام فأمسكت فيه بكل قوتي:

- لا خلاص أنا عايز شقة.

فجلس بكبرياء كبير، ثم نظر فى شرود لنقطة غير موجودة وقال:

طب اطلبلي قهوة تانية و سيبني أفكر.

امتى أعرف إن الوقت اللي بمر بيه ده هيبقى ذكريات، عشان أركز معاه أكتر؟ الفيلم كان عادي، مش عارف بقى تحفة أمتى؟ والمطعم كان وحش أوي، هو إزاي وحشني؟ والخروجة كان نفسها سكوت عشان مش لاقيين حاجة نقولها، ليه بقت عمرها ما تتعوض؟ خدعة الأوقات الحلوة إنها كانت أوقات عادية جدًا، بس الذكريات بتحب تكبر المواضيع.

ليلة عادية.. جدًا

كل الأشياء السيئة تحدث، لدرجة أن بشاعتها وصلت لأن أتصل بخمسة أشخاص على التوالي ولا أحد فيهم يرد، يبدو أنني أصبحت مكروها للدرجة التي يتهرب مني الناس بهذا الشكل.. يبدو أنني بحاجة لكي أختار مزيدًا من الأصدقاء المناسبين لي، المناسبين وليس الجيدين، هناك فرق، فالأشخاص الجيدون متاحون بكثرة ولكنهم غير مناسبين، الجيد هو الجيد.. أما المناسب فهو الجيد لنا نحن فقط، والأشياء المناسبة لنا لا نعثر عليها بالتعب بل بالحظ.. إذن أنا سيئ الحظ، أعترف بذلك.

تطل أغنية حزينة لسيدة البؤس العربي إليسا، تندب حظها في الحياة والحب من شباك جارتي المراهقة، وأشعر فجأة بأن المكان يضيق عليا.. لماذا تحزن جارتي كل يوم بنفس الميعاد كل يوم؟ يعني ما هو نوع الحزن الذي يأتيها من الثامنة مساءً للعاشرة ويستدعي أن تنكد على اللي خلفوني؟ هل هي جريحة قصة حب؟ وإن كان ذلك لماذا لا نحارب المزاج السيئ بأغانٍ راقصة، لماذا نتعمق أكثر في الحزن؟ أظن الإنسان يميل للحزن أكثر من الفرح، كل الأغاني الناجحة هي أغانٍ حزينة، حتى الأغاني الراقصة، كلماتها كلها فراق وخيانة وفرهدة من الجري وراء الحبيب، فهي ليست أغاني مبهجة بقدر ما هي تعبر عن ذروة وصولنا لدرجة التصالح مع النفس..لدرجة الرقص

على خيبتنا، وأنا مشكلتي ليست كآبة إليسا، بل لكوني لا أصدقها، أشعر بأن حزنها مبتذل ومصطنع وليس حزنًا حقيقيًا نابعًا من قلبها مثل «تامر عاشور» مثلًا الذي لن تصدق في مرة أنه يدعي الحزن.

انظر لملامحه، لعينيه البارزتين، لنظراته الشاردة، لقصر قامته، لخدوده المنتفخة، هل ممكن أن يكون شخص بتلك الهيئة خائنًا مثلًا، هل ممكن أن يكون «باد بوي» ؟.. بالعكس تامر عاشور مولود حزين أصلًا، هو الطفل المنزوي في المدرسة، والطالب السنجل بالجامعة، والملتزم في العمل، والمخلص مع فتاة لعوب، إنه الشخص الذي عاقبته الدنيا لمجيئه وسطنا، فحمل الحزن عننا، وتولى التعبير عنه بإسمنا، إنه حزين حقيقي.. حزين حقيقي.. حزين بجد.

كل ذلك التفكير وتضييع الوقت، ولم يكلمني أحد، ولا حل أمامي سوى أن أنتظر..

قلت لنفسي لا مش قادر أستنى، أنا استنيت كتير، استنيت لحد رابعة ابتدائي عشان أكتب بالقلم الجاف، واستنيت بقية حياتي أبطل كتابة بيه، واستنيت الأغنية اللي بحبها تيجي في الراديو، ولما بقى سهل أجيبها المطرب نفسه بطل يغني!

استنيت على جارتي تحبني وعلى البامية أحبها، استنيت المرتب ينزل والأسانسير يطلع، والعصير يسقع واللبن يفور، والإجازة تيجي والعيا يروح، والمحاضرة تخلص والفيلم يبدأ، والفراولة تطلع والبرد يدخل، فآسف يعنى لو مستعجل دلوقتي حبتين .

ادخل الفيس بوك وارسل رسائل لخمسة أصدقاء آخرين، وانتظر دقيقتين والموبايل بيدي ولم يرد عليا أحد.. صوت إليسا يتسرب مرة أخرى فأتوتر، أتصفح الفيس بوك وأتوقف عند مقطع لمسرحية قديمة، فأعود بالكرسي للوراء منشحكًا وأنا أعرف الإفيه القادم الذي سيقوله البطل.. أحفظ حوار تلك المسرحية فهي المفضلة لي منذ الطفولة، أرجع بالذاكرة لتلك الأيام، فأبتسم وأقول يااه لو تعود، ولكن فجأة تذهب الابتسامة، وأعتدل في جلستي وأقذف الموبايل وقد أدركت أنني أقع في فخ كبير .. ما هذه السذاجة؟ أيام الطفولة كانت أسوأ أيامي.. لماذا أكذب على نفسي لكي أهرب من جحيم الحاضر باختلاق حياة سعيدة كاذبة!، لم تكن أيام الطفولة سعيدة إطلاقًا.. صحيح لم يكن لدي مسؤولية الحياة الآن، لكن واجب الحساب كان بمية مسؤولية من بتوع دلوقتي، صحيح كنت أنام في أي مكان دون تفكير، لكنه كان من الغلب ومن صحيان بدري وطابور وتحية علم وسبع حصص أجلس فيهم زي الكلب، أيام الطفولة هي أيام سودة لا تقل عن بشاعة ما يحدث الآن في حياتي، ذلك حنين كاذب ولن انساق وراءه، لأنني لم أكن سعيدًا أبدًا، الألم هو الشيء المشترك في كل المراحل، ولكن بمرور الوقت تشعر بأنه كان بسيطًا في الماضي، ليس لأنه فعلًا كان بسيطًا.. بل لأن ما تمر به الآن أسوأ، الماضي كان سيئًا جدًا في وقته وظروفه لا يجب أن أنسى ذلك ، ولو كان بإمكان الزمن أن يعود بي للوراء فلن أعود .. أحتاج فقط القوة التي تجعلني أتجاوز ما أمر به حالًا.. إن محاولات الهروب من الماضي خدعة، ومحاولات الهروب بالمستقبل خدعة أكبر، وما بين الماضي والمستقبل أنا محشور بين زمنين في واقع سخيف، أنا بائس.. أنا سيئ الحظ، وبائس.

«أكيد مشغولين على الواتساب»، دخلت على التطبيق الأخضر وأرسلت رسائل لحوالي أربعة من الأصدقاء المقربين ودقيقة.. دقيقتين.. لا أحد يرد! يبدو أنني اخترت كل السيئين لمعاشرتهم يا الله لماذا اخترت هؤلاء عن غيرهم؟ أمر بلحظة صعبة .. إنها أعمق أوقات الوحدة وأنسب أوقات الحزن، أنا من المؤمنين تمامًا بأنه إذا جاءك الحزن فاستسلم له واترك نفسك ..اذن حان وقت الاكتئاب ..حان وقت ربط كل الذكريات الحزينة التي عشتها من يوم السبوع إلى اليوم بموهبة فذة..

أشعر بأنني وقعت بالفعل في المزاج السيئ.. المزاج السيئ يسحب أقدامي ليغرزها، فأجد نفسي ميالًا لكل ما هو سيئ ومناسب لذلك المزاج القذر..

أطلب طعامًا غير إنساني من مطعم درجة ثالثة، ويأتي به عامل دليفيري بملابس متسخة، نظراته حادة ولحيته طويلة، ويرتدي خاتمًا ضخمًا بإصبع نصف مبتور بيده اليمنى، يقف على الباب ينتظر أن أدفع له الحساب، وهو يقضم أظافره متلصصًا بعينيه داخل البيت.. أكاد أجزم أنه سيأتي ليلًا ليقتلني ويسرق شاشة التليفزيون الضخمة.. أحاول أن أغريه بمزيد من البقشيش، ولكن أشعر أن طمعه زاد أكثر..

أضع أمامي الطعام في الوقت الذي يُرسل لي السوبر ماركت نوعًا رديئًا من «الكولا» محلية الصنع، طلبتها لتكتمل بشاعة الوجبة، أعاني من عادة لا أعرف التخلص منها، لا أستطيع الأكل إلا أمام التليفزيون.. من بين عدة قنوات استقريت على لقاء لفنان درجة ثالثه و أحسست أن هذا هو ما أريده الآن، كان يحكي ذلك الممثل عن كيف أستعد نفسيًا وعصبيًا وجسديًا

للعب مشهدين بآخر مسلسل مثله من عشرة أعوام، وكيف أنه كان يشعر بأن الشخصية هي التي تحركه وهو يخضع لها وأنه عانى سبع سنوات بعدها لأن الشخصية تقمصته، أحببت هذا الرجل جدًا..إن وجود الفشلة في محيطك شيء رائع، لأنه يجعلك تشعر بأنك لست الفاشل الوحيد في العالم.

كان اللقاء في آخره، ثم وجدت ضالتي بفيلم عربي كوميدي لفنان كان يومًا نجمًا للصف الأول، حتى أصبح بتلك الحالة التي يمثل بها الآن وهو بلا روح.. يقول دعابة سخيفة، وهو يعلم من داخله أنها سخيفة، دون أن ينتظر أي رد فعل.

أنظر لملامحه وأشعر بالشفقة ناحيته، أشعر به إنسانيًا وليس فنيًا، أشعر بأنه تورط في تمثيل هذا العمل لأنه مزنوق في مصاريف مدرسة ابنته، يقول الإفيهات اللعينة وراء بعضها كأنه يريد أن يتخلص منها مرة واحدة، يقولها وهو يلعن الظروف التي أجبرته على الوقوف بذلك الوضع، أشعر بأنه يريد أن يوقف المشهد ليبكي و كنت أود لو أستطيع أن اخترق الشاشة لاحتضنه، يقف بجواره ممثلون من الدرجة الثانية والثالثة يفرشون الإفيهات لكي يلقيها عليهم وهو يسخر من شكلهم وحجمهم، محاولين مساعدته لكي يتخطى أزمته..وأزمتهم أيضاً، ولكنهم في الحقيقة محبطون! مشهد عظيم أن يجتمع كل هؤلاء المحطمين في كادر واحد، أشعر بهم جميعًا.. الفشلة وقت الإحباط يشعرون ببعضهم وينادون بعضهم كأطراف المغناطيس.. أنا الآن أستمتع بكل التجارب الفاشلة على الأرض، من أكل وشرب وفن، أشعر بأنه مكاني الصحيح، وفجأة تمر في الكادر كومبارس تشبه سارة، فينقبض قلبي..

سارة فتاة أحببتها ولم تحبني، لم تعطيني الفرصة الكاملة لأظهر لها الحلو في شخصيتي، ألومها لأنها متسرعة ومغرورة.. ألعنها في نفسي.. يلعن أبو شكلك، ثم أقول لنفسي لا أنا برضه الغلطان.. كانت غلطتي أنني ارتبكت عندما قابلتها، فلم أقرر «أبعد ولا أجرب مرة كمان؟»، فملت هي من حيرتي ونفضتلي..إذن هي ليست مسؤولة كونها قابلت شخصًا مترددًا مثلي!.

أفتح الفيس بوك ثم أتجه لعلامة البحث، أبدأ في كتابة اسمها، وتظهر لي كل الأسماء الأخرى إلا هي، حتى انتهيت من اسمها كاملًا فظهرت لي أخيرًا، ولكن بصحبة شاب.. الغبية القذرة!

سأكلم «ريم»، تلك الفتاة المعجبة بي، أصل لاسمها على الموبايل، أكاد أتصل بها حتى أتوقف، ريم دمها يلطش، خمس دقائق معها تجعلني أطلب استغاثة.. أتردد وأسأل نفسي لماذا حبتني ريم ولم تحبني سارة.. لماذا يحبنا الحمقى.. والذين نحبهم لا يحبوننا؟، هل معنى ذلك أننا حمقى في نظر من نحبهم؟ يعني هل كنت أحمق في عين سارة؟ أفكر لثانيتين ثم أجد أن الأجابة هي « أيوة» فتنسد نفسي وأترك الأكل وأتحرك من مكاني.. أقف أمام المرآة.. أنظر لنفسي و أشعر بأنني وصلت للحظة الحقيقة.. للسلسة المفقودة في هذا الأمر.. هي لم تحبني لأنني بكرش! ، أخلع التي شيرت وأتأمل الدهون المترهلة من على جانبي.. هل هذا منظر آدمي ؟.. ده منظر واحدة حلوة تحبه.. أنت أخرك ريم يا كلب!

أحزن، ثم أتذكر أنني مشترك في الجيم، أجري والتقط المحفظة، أخرج

كارنيه الجيم فأجد صلاحيته قد انتهت أمس دون أن أذهب ولا مرة.. إلا مرة الاشتراك!

لن يحبك أحد وأنت بهذا الحجم يا عزيزي، لا سارة ولا غيرها، لن يحبك أحد وأنت تشبه الفيل الصغير.. فقط سيشفقون عليك ويرونك طيبًا ودمك خفيف لكي يصبروك على ما أنت فيه.. إذن أنا سيئ الحظ وبائس ووحيد ومترهل.. نتيجة عظيمة لكل كفاح تلك السنين في هذه الحياة الوسخة! سأذهب للنوم.. إنه الحل الوحيد.

أحاول أن أضع رأسي على المخدة لكي أذهب في غيبوبة، ولكن هناك أصوات صراخ تحاصرني، أشعر بأنها بعقلي وليست حقيقية، أحاول أتذكر كل حكم التنمية البشرية وحصص التأمل الفاشلة التي حضرتها في إزالة تلك الأفكار، ولكن الأصوات لا تذهب.. إنها موجودة بالفعل ف الشارع.. أفتح الشباك فأجد أولاد الجيران يلعبون بالكرة، أشخط فيهم لكي يرحلوا و يستجيب قائدهم في طاعة قائلًا: «حاضر يا عمو».. أتوقف عند الكلمة «عمو»!، لو كان شاط الكرة في صدري لما تألمت لهذه الدرجة، أتأمل الكلمة وتصعب عليا نفسي، وددت لو أقول له «يا صديقي الصغير أنا لست عمو، أنا أتفه من ذلك بكثير»، ولكنني أصمت وأغلق الشباك وأتلصص عليهم من بين الشيش.. ثم أدرك مصيبة ما حدث ..ايه اللي انا عملته ده ؟

هل فعلًا أخبر أطفالًا بأن يلعبوا بصوت واطي؟ هل أصبحت جدتي فجأة التي تمسك رأسها وتأمرنا باللعب بالراحة لأنها مصدعة طول الوقت؟!

هل أصبحت عجوزًا لهذا الحد ؟، أقف مع نفسي لحظة وأستوعب.. أنا لا أطيق الخروج كثيرًا وموبايلي بلا نغمات..وأصبحت لا أطيق الثرثرة، ولم أعد أهتم بمظهري بالشكل الذي كان يقلقني قديمًا فأصبحت أرتدي ما يريحني أكثر مما يجعلني أنيقًا.. تبًا إنها كل علامات العجزة!

عيناي تتحركان بصورة درامية بطيئة على أشعات للعمود الفقري أجريتها منذ أسبوع، أتفحصها ثم أبعثرها حولي بهيستيريا، وأجلس على ركبتي في أسى وموسيقى «الضوء الشارد» الحزينة تلعب في الخلفية، وأنا أتذكر كيف كنت طفلًا يرى أن آلام الظهر والمفاصل يشتكي منها الكبار، حتى أصبحت أنا واحدًا منهم، أصبحت أنا الشخص الذي كنت آراه كبيرًا وأشعر ناحيته بالشفقة، كلها أيام وأرتدي البيجاما الكستور وأتعشى زبادي وأنا أشاهد برنامج «وائل الإبراشي» ثم يصيبني النوم بمنتصفه.

أنا الآن وحيد، سيئ الحظ ، بائس ، مترهل، فاشل، عجوز، لماذا أعيش إذن، لماذا أتقاسم هذا الأكسجين مع العالم الذي يكرهني ؟!

أبحث على «جوجل» عن طرق الانتحار، أجد أن الموت بالرصاص هو أسهل طريقة، فالرصاصة التي تقتلك لا تسمع صوتها..لأن سرعتها أسرع من صوتها، معلومة جيدة ليتني استفدت بها في حياتي وليس الآن قبل موتي بلحظات.. لو كنت أمتلك مسدسًا لكنت فعلتها حالًا، إنها طريقة الموت المناسبة، لأن الانتحار بالسكين سيصيب أمي بالانهيار حينما ترى السجادة غارقة بالدماء.. وقتها ستحمل هم غسيلها أكثر من هم موتي.

أقرأ أن الغرق أيضًا من الطرق اللطيفة في الانتحار، ولكنه يحتاج حبوبًا

منومة ليجعل الجسم أكثر استرخاءً.. أتصل بالصيدلية وأطلب حبوبًا منومة، ولكن الصيدلي يُخبرني بأنها ليست موجودة ويوجد البديل.. يا رب لماذا يصر البشر أن يعكننوا عليا حتى وأنا بموت!

أتناول الحبوب وأنزل البانيو وقد امتلأ بالمياه، أنظر لمنظري وأتذكر خبر انتحاري بالجرائد.. «انتحار شاب في ظروف غامضة»، أرى بعيني الآن عشرات البوستات الحزينة على الفيس بوك، التي تتندم على فقداني ملحقة لي بصورة ملامحي فيها طيبة وأبتسم، وقد اكتشفوا كم كنت محبوبًا وطيبًا وعبقريًا، وكيف ستصبح كتاباتي ملهمة للعالم بعد أن أصبح أيقونة للشباب الذي لم يجد نفسه.. ويتم رسمي «جرافيتي» على جدران الشوارع بجناحين.. وينتحر من بعدي كثير من الناس، أضع قدميّ في البانيو، وأبدأ في الغطس ثم أدرك شيئًا مهمًا وأرفع رأسي من المياه، هل سأصبح أيقونة دون أن أترك رسالة للعالم؟، أخرج من الحمام، وأمسك ورقة وقلمًا وأكتب، «عزيزي العالم لماذا لم تحبني؟»، لا معجبتنيش .. أحتاج رسالة أكثر عمقًا من تلك، أمزق الورقة وأكتب « أصدقائي.. حبوا الحياة التي فشلت في حبها»، يا سلام على عبقريتي، هكذا أكون عظيمًا، فالعظماء دائمًا غامضون و يحاول الناس تفسير ما يكتبونه بعمق شديد حتى لو كانت جملة ساذجة وعبيطة مثل التي كتبتها حالًا ، سأجعل العالم كله يندم على رحيلي وفراقي، والله لأعرفكو قيمتي.

أضع قدمي مرة أخرى في البانيو، أستعد للنزول ثم، لا، لحظة، الموبايل به كل أسراري، أفتح الموبايل، أمسح بعض الرسائل المخلة والصور الأبيحة، لا أعلم من سيفتش في موبايلي بعدي، الآن أستعد.. وضعت قدمي في

البانيو.. ها فيه حاجة تانية ناسيها؟ للأسف لا.. إذن هيا لاذهب للعالم الآخر، أنام في البانيو، ينزلق جسدي رويدًا رويدًا، أشعر بالرهبة، تنزل من عيني دمعتان.. أشعر بالحزن على نفسي وعلى رحلتي القصيرة بالحياة.. أغطس وأقول الشهادتين في سري، تبدأ أنفاسي في الاختفاء.. أشعر بأن الموت يقترب أكثر من الحياة، وفجأة يرن الموبايل ثم تتوالى أصوات «النوتفيكيشنز» بالرسائل، أجري عليه فأجد كل من كلمتهم يكلمونني بوقت واحد على كل التطبيقات.. يخبرونني بأنهم كانوا مشغولون، فأكتشف أنه يحدث أيضًا أن يكلمك الناس جميعًا في نفس الوقت، كما تجاهلونك جميعهم في نفس الوقت، فأؤجل الانتحار لليلة جديدة.

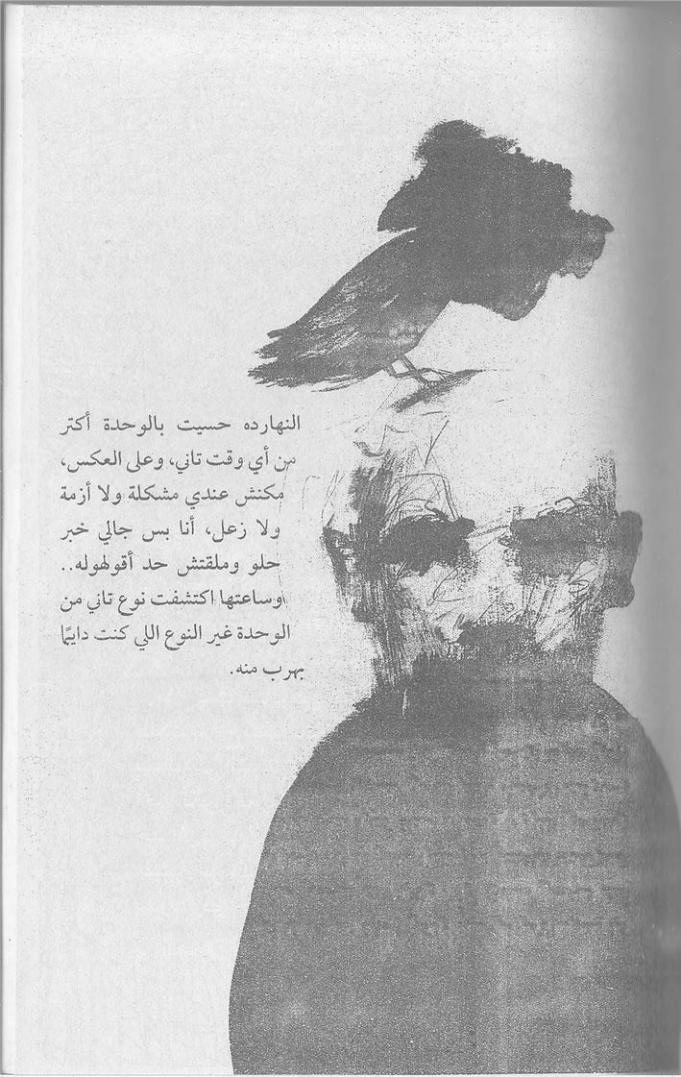

النهارده حسيت بالوحدة أكتر من أي وقت تاني، وعلى العكس، مكنش عندي مشكلة ولا أزمة ولا زعل، أنا بس جالي خبر حلو وملقتش حد أقولهوله.. وساعتها اكتشفت نوع تاني من الوحدة غير النوع اللي كنت دايمًا بهرب منه.

زمان كنت بسأل هي الشمس بتمشي بتروح فين؟ طلعت بتروح لناس تانيين، لما بتمشى من عندهم برضه بيسألوا هي الشمس بتروح فين؟ ولما لعبت سلة حاولت أخلي الكورة معايا على أد مقدر، بس كانت بتروح مني لحد تاني، حاول برضه يخليها معاه، على أد ما يقدر، مفيش زعل بيدوم، ودي حاجة تفرح جدًا ومفيش فرح بيدوم، ودي حاجة تقلق جدًا.

كوستا عباس العقاد

- ١ -

لم تكن نيرة طنط، ولكنها في الوقت نفسه لم تكن فتاة مراهقة، تلك المرحلة السنية التي ليس لها مسمى ولكن لها صفات أهمها النضج، لم تكن أختي ولم تكن حبيبتي، بل كانت في تلك العلاقة المريحة التي تسمح بالتعامل معها بأريحية دون حساسية ودون فلاتر، في منزلها نجتمع أنا والأصدقاء وكأنه بيت العائلة الثاني، أخبرتني أنني معزوم عندها على فتة اللحمة، وهي خير من تجيدها بصراحة، وفى الموعد كنت عندها، دخلت فوجدتها «قامطة» دماغها وبملابس التنظيف تستعد لاستقبال مزيدًا من الضيوف سنتناول الغداء كلنا سويًا، ولأنني لست غريبًا خلعت الجاكيت وانضممت لها في تنفيض السجاد والكنس والمسح وطاردنا التراب فى كل أنحاء المنزل، وفجأة رن جرس الباب، وفتحت استقبل الضيوف، فوجدت فتاة عشرينية جميلة تُمسك معطفًا من الصوف في يدها، دخلت الفتاة وملامحي تبدّلت فجأة لخيبة الأمل، نظرت لنيرة نظرة كلها عتاب فهربت مني على المطبخ، وكالطفل طاردتها لهناك، وقفت وراءها صامتاً وهى تتحاشى النظر لي، حتى

استدارت فقرأت مشاعر الغضب على ملامحي وأقسمت أن لا تقصد.. وأن هذه المرة ليست كالأربعتاشر مرة اللي حصل هذا فيهم السيناريو بالظبط، أن تدبسني في ضيف، ويكون الضيف الذي معي بالصدفة فتاة.. وبالصدفة البحتة يعني سنجل!، وصلت لحالة من التعب مما تفعله نيرة طول الوقت، سألتها: «فرقتي إيه عن مرات خالي اللي كل ما تشوف وشي تقولي مش هنفرح بيك بقى؟.. إنتي أكتر واحدة فهماني وعارفة إن المواضيع دي ما بتجيش كده..» هددتها بالرحيل، ولكنها ترجتني ألا أفسد علينا الليلة فانصعت لرغبتها.

أجلس أتناول الغداء تحت الإقامة الجبرية، تنظر لي نيرة، ثم تنظر للفتاة نظرات بايخة وسخيفة، وفي عينيها نظرة «والله لايقين على بعض».. يارب صبرني، أحاول التركيز في الأكل، فتشعر نيرة بأن هناك لحظات صمت فتخلق حوارًا جديدًا تحشرني فيه أنا والفتاة بأي طريقة.. تحاول تربط التفاصيل ببعضها بطريقة عجيبة وغير منطقية، فقط لتجعل وكأن هناك أشياء مشتركة بيننا حتى لو بالعافية.

انتهينا من وقت الغداء، وجاء وقت أبوخ فقرة في الليلة .. فقرة «هقوم بس أظبط حاجات فـ المطبخ، إنتو مش غرب»، جلسنا أنا والفتاة الرقيقة ذات الملامح الصغنتوتة في وجه بعض صامتين، كلحظات الانتظار في الأسانسير، ثم فجأة تلاقت أعيننا وشعرنا بالحرج وضحكنا من الموقف، فسمعت نيرة صوت ضحكتنا وكادت تزغرط، وهي تقول لنفسها: الحمد لله الخطة نجحت، ولكنها في الحقيقة فشلت.. فشلت تمامًا.

بعد أن رحلت الفتاة سألتني نيرة عنها، فاكتفيت بقولي إنها لطيفة، فأخبرتني أنه متقدملها أكثر من شخص رائعين، قالتها بطريقة أن العرض لفترة محدودة، فأخبرتها وأنا أصطنع الحزن «يا خسارة شكلي مش هلحق الأوفر المرة دي كمان» ، أحبطت نيرة وتنهدت تنهيدة معناها يا خسارة تعبي والله.

لم أكن أريد أن أشعرها بفشل ما تفعله، نحن فقط مختلفين على الأسلوب، أنا أريد الحب وليس التزواج ، والبنت فعلًا لطيفة جدًا، وربما في عالم آخر وظروف أخرى كنت قد وقعت في غرامها وخفة دمها، ولكن الطريقة نفسها التي تم من خلالها تعارفنا، كانت كفيلة بإفساد كل شيء، كان الموضوع أشبه بسماعك أغنية جميلة وسط ضوضاء مزعجة، تركيزك يذهب رغمًا عنك للضوضاء حتى لو كان بيتهوفن نفسه يعزف أمامك، بعد دقائق من الصمت أخبرتني نيرة وهي تمد يدها لي بنصف برتقالة بأن الحب بييجي مع الوقت، فأسألها: «وفيه حاجات مابتتحبش مع الوقت.. ريهام سعيد دي مثلًا تتحب مع الوقت؟ تامر أمين ده يتحب مع الوقت؟ أحمد موسى يتحب مع الوقت؟ ها؟».

- ٢ -

مر وقت طويل، واقتحمت حياتي قصة حب صعبة، أحيانًا ترى الأمر واضحًا كالشمس.. ترى العلاقة تذهب بك للجحيم، ولكنك تظل متمسكًا بها على أمل معجزة تحدث، ولكن تظل لا فائدة للمقاومة هنا سوى تأجيل الفراق لبعض الوقت، حتى انتهى هذا الوقت وانفصلنا

فعليًا، كنت كتومًا، وكانت نيرة قد فقدت فيّ الأمل في محاولاتها لتزويجي ككلب «جيرمن» عن طريق الصالونات، ولكنها فجأة وأنا في عز أعراض انسحابي من تلك العلاقة، عادت نيرة مرة أخرى على استحياء تخبرني بأن أقابل فتاة أخرى، وأخوض التجربة لآخر مرة، سألتها لماذا تلك الفتاة الذات؟ فأخبرتني أنها لم تتمن عروسًا لي مثلما تمنت لي تلك الفتاة تحديدًا، وطلبت فقط أن يجمعنا لقاء واحد.. واقترحت على سبيل التغيير أن تكون المقابلة في أحد الكافيهات وليس بيتها كنوع من أنواع التغيير، ولا أعرف لماذا صمت هذه المرة، ولم أبدِ غضبًا أو اعتراضًا. كنت محطمًا، وسألت نفسي لمَ لا؟ لماذا لا تُعطي نفسك الفرصة في الحصول على الارتباط دون الحب الذي فشلت فيه؟ هل تخاف من تلك الخطوة، لأنك تخاف الفشل..أنت بالفعل فاشل يا عزيزي!.

- ٣ -

على بعد طاولتين كنت أجلس هنا في نفس الكافيه، برفقة الفتاة التي أحببتها، كان أول لقاء بينا هنا فتفاعلنا به، فتوالت من بعده اللقاءات بنفس الكافيه، حتى أصبح هو نفسه جزءًا من الحدوتة الحزينة.

لا أعلم تحديدًا لماذا اخترت هذا الكافيه لأقابل فيه تلك الفتاة المجهولة القادمة بعد دقائق، هل لأثبت لنفسي أنني أقوى من الذكريات؟ لماذا أعيش نفس القصة ولكن بدونها، أجلس في نفس الكافيه، وأشرب نفس اللاتيه، وأقابل نفس العاملين؟ ولا أعلم هل رغبتي في عمل ذلك دليل أنني نسيت، أم دليل أنني أسعى لكي أتذكر أكثر؟ فالحب ليس عكسه

الكره، الحب عكسه اللامبالاة، الكره طاقة بنفس قدر طاقة الحب، وها أنا أبذل كل هذا الجهد لأتخطاها.. أبذل طاقة لكرهها كما بذلت طاقة لحبها، لكي أثبت لنفسي فقط إنها لم تعبر من هنا.

أشعر بأنني أخوض حربًا ضد الذكريات، من أيام وقفت أمام مفترق طرق لا أعرف إلى أين أتجه، تتجه قدماي تجاه ذلك الطريق خطوتين، ثم أتوقف وأتراجع لطريق آخر أخطو به خطوتين وأتراجع، الذكريات تفوح من الأماكن، أدفع الآن ضريبة أن أشارك من أحبه ما أحبه، فتصبح كل الأماكن بطعمه هو، فأهرب منها لأهرب منه، وأبقى وحيدًا تائهًا وسط أماكن وشوارع كلها تم تشويهها.. أريد أن أصنع ذكريات جديدة بناس جديدة، ولهذا جئت لمقابلة تلك الفتاة، ومن يعلم فربما تكون راحتي بعيدة عن الحب، الحب أرهقني في بدايته، وأهلكني بمنتصفه، وهزمني في آخره.

كان على الطاولة قطعة شيكولاتة، يبدو أن من كان يجلس قبلي قد نسيها، أتخيل أنه شاب قد أتى بها لفتاته، وصارحها اليوم بأنه يحبها ومن فرط سعادتها نسيتها، لا يفرط الإنسان في سعادته إلا في سبيل سعادة أكبر.. هكذا أعتقد.

مرت دقائق، وجاءت الفتاة، كانت ملامحها رقيقة ومريحة تُشعرك بالاطمئنان، وضعت نظارتها الشمسية فوق حجابها فأزاحته قليلًا، وكشف عن لون شعرها البني الفاتح، ابتسمت لي ابتسامة كانت تنق من مفعولها، لدرجة أنني أعتقدت أنها تدربت عليها كثيرًا في المرآة قبل نزولها، جلست في المقابل ومرت علينا لحظة صمت. تلاقت الأعين فرأيت في

قاع حدقة عينيها حزنًا لا أعلم مصدره، تحاول أن تداريه بتلك الابتسامة اللامعة الخادعة، تحاول أن تشتت الانتباه، ولكنه كان مستقرًا كنمش على جلدها، أحاول أنا أزيل التوتر، فتبعث أصابعي بقطعة الشيكولاتة، أشعر بأن هناك شيئًا ما يجمعهم، قطعة الشيكولاتة وتلك الفتاة، لم أشهد بدايات الشيكولاتة، لم أرها وهي حبة كاكاو على شجرة في بلد إفريقية حارة، لم أر تلك اليد السمراء التي جمعتها، ولم أر الشاحنة التي نقلتها للمصنع، ولم أر تصنيعها وتغليفها ونقلها، رأيتها في حالتها الأخيرة، وهي بآخر شياكة، وكذلك الفتاة .. أنا أراها الآن بعد بضع وعشرين عامًا، ولا أعلم ما الذي حدث لها، من الذي جرحها؟ من الذي مزقها؟ من كسرها؟ كيف مرت بكل آلامها حتى وصلت إلى هنا، إلى هذا الكرسي، إلى عندي؟!

طلبت مني الجلوس في مكان غير مخصص للتدخين، لأن رائحة التدخين تُزعجها، تتبعت رائحة الدخان، وكان من بقايا سيجارة يطفؤها رجل خمسيني بطاولة مجاورة ويطلب من الجرسون دفع الحساب، فاستقررنا في مكاننا، وبالمرة طلبت أنا من الجرسون مولتون كيك وطلبت هي شاي أخضر، لا أعرف كيف تفتح المواضيع في تلك اللحظات، الموضوع أشبه بتحضير ماجستير في تزاوج كلاب البحر، اقتحمت هي المبادرة وسألتني: «دخلت في علاقة قبل كده؟»، كان سؤالًا مباشرًا وسريعًا وصادمًا، لأنني توقعت أن تبدأ المناقشة عن أي شيء حتى تتصاعد لهذه النقطة الساخنة من الخصوصية، فجاوبت: «آه مرة»، أكذب طبعًا، ولكنها كذبة مقنعة، لم تعد الإجابة المثالية في رأيي هي «إنتي أول حد فـ حياتي»، لسببين: أولهما أنه واضح جدًا أنه تحوير، وثانيًا كيف تثق فيك امرأة تقيم أول علاقة معها وأنت على مشارف الثلاثين إلا إذا كنت شاذًا ؟.. الأمر لا يطمئن إطلاقًا

كما يبدو..الأمر مرعب، ولكن إجابة «مرة»، لها أثر طيب، فهي تدل على أنك شخص صادق أولًا، وثانيًا إنك شخص مستقر ليس من هواة تعدد العلاقات، فباغتتني: «وسبتوا بعض ليه؟»، فأخبرتها: «لأنها كانت فضولية زيادة على اللزوم، وبتسأل أسئلة كتيرة متخصهاش»، فشعرت بالإحراج، وحاولت الاختباء بالشرب من الشاي الأخضر، شعرت بسخافتي فقلت: «إنتي عارفة إن آسر ياسين كان هيخبطني وأنا جاي بعربيته»، فقالت: «الله ده أنا بحبه أوي.. ده ممثل تحفة»، فقلت على الفور بنبرة الفاهم: «بس أنا حاسس إنه لسه مقدمش حاجة.. بقاله عشر سنين مستنين منه بقى يعمل حاجة غير الصور اللى بينزلها»، فقالت: «آه تصدق، أنا كمان شايفة كده»، كنت أتمنى أن تطول المناقشة، أو يحدث جدل في وجهات النظر، ولكنها أنهت الموضوع سريعًا بعدما تخلت عن رأيها في ثانية، قالت لي: «تعرف إن زمان كان نفسي أمثل، بيقولوا إني شبه حلا شيحة، هو أنا شبهها فعلًا؟»، كنت على وشك الإجابة، ولكنها أكملت حكايتها في التمثيل منذ صغرها.. كان صوتها في الخلفية، وأنا أشعر بأنني في حالة غريبة، أشعر بعدم الحماس، بفقدان الشغف، إحساس إنه لم يعد لدي طاقة لسماع قصص جديدة، واكتشاف شخص آخر، اكتشاف ما يحبه وما يكرهه، وتجنب ما يستفزه.. أحلامه وطموحه ومخاوفه، أشعر أنه لم يعد لدي تلك الطاقة للحديث عن نفسي، لم يعد لدي الطاقة لأبدأ من جديد، لم يعد لدي الطاقة لحب أحد، ولا للحفاظ على وجوده، ولا حتى التمسك به عند الرحيل.

كنت أرى شفتيها فقط هما اللتان تتحركان، إنما الصوت في أذني كان صوتها هي، صوت من تركتني هنا بذكرياتي معها ورحلت، اشتغلت في الخلفية فجأة أغنية «شبابيك»، نفس البلاي ليست التي كان يتم تشغليها

أثناء وجودنا سويًا.. أشعر بأنني مُحاصر، أحاول الهروب من كل تلك التفاصيل، أجد المولتون كيك أمامي فأغرز قلبها بالشوكة فتفيض الشيكولاتة من داخلها لتغرق قطعة الكيك، كانت قطعة الكيك تختفي رويدًا رويدًا أسفل بحر الشيكولاتة، وكنت أراها في تلك اللحظة أنها روحي التي تنسحب مني، حاولت بالشوكة أنقذ آخر قطعة من الكيك لم تغرق تحت الشيكولاتة ومنير يغني «سرقت عمري من أحزاني»، ولكن فجأة غاصت تحت الفيضان ومنير يكمل «سرقته لكن ما جاني»، لتختفي القطعة الصغنتوتة تمامًا.

نظرت أمامي فوجدت الفتاة، اكتشفت أنني ما زالت هنا.. هنا بجسدي فقط، إنما روحي مع الغائبة، كانت الفتاة ما زالت تسرد قصصًا ظريفة عن طفولتها، كانت تحاول أن تبدو في منتهى اللطف، وأنا كنت في منتهى الحماقة..أحاول أن أصنع منها البديل، ربما كانت ألطف، أظرف، وأجمل، ولكنها لم تكن من أحببتها، وتلك هي مشكلتها الوحيدة، شعرت بأنني أريد أن أوقف ما يحدث، كل ما يحدث، فقلت فجأة وبدون مقدمات: «هو أنا ممكن أمشي؟».

تفاجأت من سؤالي فردت: «هو أنا مضايقاك؟».

قلت لها: «لا.. بس قعدتنا دي غلط، وأنا غلط، واللي بنعمله ده غلط.. أنا آسف».

تنهدت قليلًا ثم قالت: «هو أنا لو شربت سيجارة هضايقك؟».

ابتسمت لما حدث منذ قليل، ففتحت شنطتها وأخرجت سيجارة أشعلتها، وقالت وهي تنفث دخانها بوجهي: خفت تعرف إني بدخن تاخد عني انطباع وحش.

- خليكي زي ما انتي واللي يحبك يحبك كده، أنا مستغرب إنك اتغيرتي حتى من قبل ما تعرفيني.

- هو أنت عايز تمشي ليه؟

- عشان كنت بحب، ومش قادر أعمل كده وأتعرف على حد بالطريقة دي، مش قادر أقعد مع حد بنية إني أحبه، مش قادر أشم في وردة بلاستيك بعد ما كنت في جنينة، لو جربتي الحب مش هتستحملي تقعدي قعدة زي دي.

سحبت نفسًا طويلًا من السيجارة ثم تنهدت لثانيتين، وقالت: ما أنا جيت هنا عشان كده، عشان نفسي أحب، نفسي أحس كلامك ده، عايزة أسهر وأفكر في اللي بحبه وأصحى من النوم يكون واحشني ونكمل كلامنا، أعمله عيد ميلاده مفاجأة، وأكتب إن نفسي فـ حاجة ألاقيه بعتهالي، أنكد عليه وأصالحه، وأعيط فجأة ياخدني فـ حضنه، أحس إن عينه تروح على واحدة تانية وأدب معاه خناقة، نفسي أحس بأي مشاعر، حتى لو كان بيخونني .. تصدق إن نفسي اعرف حتى احساس الخيانة ده عامل أزاي!

أخيرًا شعرت بأنها على حقيقتها، ذهبت الابتسامة وظهر حزنها الذي كان مختبئًا بعينيها، وهنا شعرت بالارتياح معها لأول مرة منذ أن جلسنا،

فمددت يدي وطبطبت على يدها وأنا أخبرها قبل أن أرحل :

– أنا مش عارف ممكن نتقابل تاني ولا لأ.. بس اللي عايز أقولهولك إن هنا مفيش حب، الحب هو اللي بينادي علينا، مش إحنا اللي بنروحله!.

في لحظة كده اكتشفت إني مستاهلش كل الحاجات الوحشة اللي حصلتلي، بس برضه اكتشفت إني مستاهلش الحاجات الحلوة.. فرضيت.

حاسس إني مش قادر أواجه أكتر من كده، تعبت من الحرب، عايز أصرخ وأقول بس وأعيط شوية، وبعدين أرجع تاني للمعركة اللي مابتنتهيش، حاسس إن فيه حد واقف في ضهري بسكينة عشان مهربش، وصوت الحرب حواليا في كل حتة، أنا حاسس إني متورط، حد حط في إيدي سيف، وقالي حارب ونسي يسألني أنا بعرف أحارب أصلًا ولا لأ؟ بحس ساعات إني كلي جروح والدم نازل من كل حتة وأنا واقف بهوش، لا اتهزمت ومت ولا انتصرت ورجعت سليم

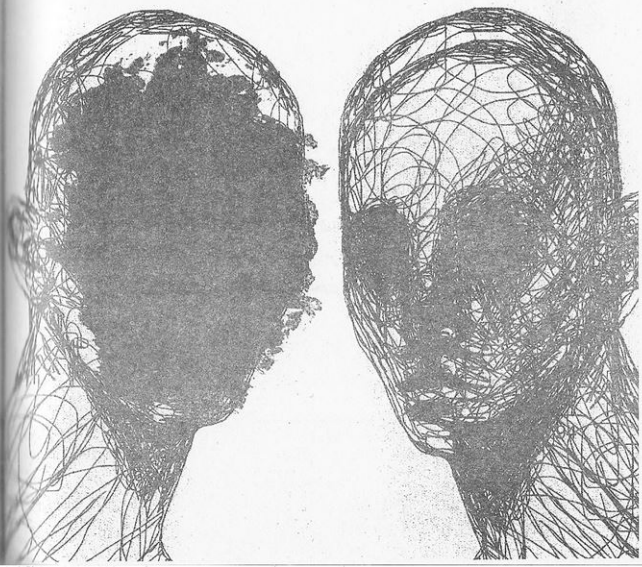

نظريات الوحدة

كان حلمًا بالنسبة لي، ذلك اليوم الذي سأعيش فيه لوحدي بعيدًا عن أهلي، وأخيرًا تحقق الحلم وأصبحت أنا صاحب المملكة، كان يوم الهنا ذلك اليوم الذي سأتخلص فيه من النصائح والإرشادات والتحكمات السلطوية.. ولما تعيش لوحدك أبقى أعمل اللي أنت عايزه.

في البداية، كان التطلع لتجربة حياة العزوبية جذابًا، والعيش وحدي تجربة ترفرف فوقها طيور الحرية، حتى بدأت أكتشف نظرية بدأت تلوح في الأفق بعد أول أسبوع، نظرية «أن الأشياء لا تنظف نفسها بنفسها»، بمعنى أن كل ما أتركه أعود لأجده كما كان ولم يعد هناك من يمر بعدي لينظف خلفي، والنتيجة هذا الكم من الأكواب المتسخة بآثار النسكافيه والقهوة والشاي بلبن، والأطباق ببواقي الطعام التي وصلت لدرجة العفن، أكوام الملابس غير النظيفة في كل مكان كانت تحاصرني لدرجة أنني خفت أن تهاجمني يومًا ما.

لم يعد هناك مكان أضع فيه قدمي بالشقة من الكراكيب، فخصصت يومًا للتنضيف، وكان هذا العيد الأسبوعي لآلام المفاصل، أما الملابس

فجمعتها كلها لإعطائها للمكوجي، وتداخلت مواعيد المكوجي وعامل النظافة فى عقلي ولم أدرك ذلك إلا عندما فتح المكوجي أمامي الكيس الذي تركته له أمام البيت ووجدها أكياس شيبسي وعلب عصير فارغة.. بينما في اليوم التالي رأيت أحد قمصاني المفضلين على جسد عامل النظافة الضخم وقد بظ منه كرشه ليتحول لقميص نوم حزين، كدت أخبره بما حدث لكنه ظل يشكرني على بؤجة الهدوم التي تركتها لها كهدية.. فقلت له وأنا بتقطع من جوايا «العفو دي حاجة بسيطة والله!».

ونسيت إغلاق الشباك ليلًا فاستيقظت بدور أنفلونزا شديدة، لأنني تعودت أن تغلقه أمي وأنا نايم، وكانت الورطة أنني لا أعرف ما هي الأدوية المفترض تناولها لأن أمي كانت المسؤولة عن صندوق الإغاثة بالمنزل، فوصفتلي إياها، أما الورطة الحقيقية، فكانت أنني لم أجد من يذكرني بمواعيد الأدوية، فتعرضت لانتكاسة، وتحوّلت الأنفلونزا لحمى شرسة.

قبل أن أعيش وحدي كنت متذمرًا طوال الوقت على أنواع الطعام، ولم تسمع مني أمي مرة «تسلم إيدك»، بل كنت لا أردد سوى نفس الجملة «هو كل يوم رز وطبيخ ولحمة»، ولم تمل أمي أيضًا من تسميعي نفس الرد «بكرة نشوف مراتك هتطبخلك إيه!»، بعد مرور أيام اكتشفت أنني أعاني مشكلة كبيرة في الأكل، أنا لا أجيد الطبخ و كان الأمل على أكل الشارع الذي أحبه، ولكن بعد عدة أسابيع أصبت بالملل منه، كما أصبت ببعض الأمراض الهضمية، فعدت زي الكلب أشتاق للأكل البيتي الذي كنت أشتكي منه، وبدأت البحث عن المطاعم التي تقدم الأكل البيتي.. لم

أكن أخيل يومًا أن كلمة «بيتي» على قائمة طعام ستغريني وتبعث في نفسي الطمأنينة دون حتى أن أتذوق الطعام، أثير عاطفة البعض كغريب وعازب وحيد، أتلقى العزومات في بيوت الأصدقاء وعائلاتهم، يقسم لي صديق أنني لن أتذوق ملوخية كملوخية أمه، وهذا آخر يقسم بأن ورق عنب أمه لم يخطر على معدة بشر، وأخوض تجارب بشعة ومؤلمة دون أن أحرج أحدًا، ودون أن أخبر أحدًا أن أكل أمه متواضع وسيئ، ولا يرقى لأكل القطط الضالة بعد منتصف الليل ..ودون أخبرهم الحقيقية المرة .. مفيش أحلى من أكل أمي أنا اصلا ! .

تنبه عليا الحاجة وتوصيني، «ماتنساش تجيب خضار وفاكهه»، وتظل الفاكهة حبيسة أدراج الثلاجة حتى تفسد، وأسأل نفسي لماذا تحلو في عيني الفاكهة عندما تكون فقط في طبق في يدها.. السر في يدها إذن!، كنت قديمًا أمارس أقصى درجات الدلع وأنا أعترض على أكلات كثيرة «ورق العنب مرز، السمك مش مستلطفه، القلقاس مسترخمه، البامية بتشوك، السبانخ مش طلباها دلوقتي»، وكانت أمي تستحمل كل هذا الدلع وتطبخ صنفًا آخر بجانب ما أعترض عليه، أما الآن فلم يعد لديّ تلك الرفاهية، عندما اكتشفت نظرية « وإنت جعان كل الأكل طعمه حلو».

تشتكي أمي دائمًا من أن حيلها مهدود فأرد: «وإنتي بتعملي إيه يعني؟!»، حتى اكتشفت بعدما ارتديت بنطلون البدلة أن السوستة «مفوتة» وأنا في طريقي لميعاد مهم، ولم يسعفني الوقت للذهاب لأي ترزي، لذا عليا الاستسلام للأمر الواقع. حاولت طول المقابلة أن أضم قدميّ على آخرهما، واضعًا قبضتي يدي عليها كشخص منتظر أقرب فرصة للتبول، والمدير

تسألني عيناه عن سر تلك التشنجات، وهل أعاني من أعراض نفسية مضطربة؟ ووددت لو أقوله : أنا ابن ناس والله بس أمي مش في البيت، وساعتها أكتشفت نظرية «أن كل الحاجات سهلة طالما مش أحنا اللى بنعملها» .

وفي يوم لا أنساه حدث سوء تفاهم بيني وبين زميلي في العمل، وكان هو المخطئ، وتخيلت أن اليوم التالي ستصفو النفوس، واندهشت عندما أدار وجهه الناحية الأخرى وكأنه لا يراني، فالتفت أنا أيضًا للناحية الأخرى.. التفت وأنا أتذكر أمي يوم أن تشاجرنا ليلًا، وكنت أنا المخطئ، واستيقظت صباح اليوم التالي فوجدتها تضع ملابسي مكوية ونظيفة، ومعها مصروفي فسألتها: «إنتى صالحتيني؟»، فقالت: «لا، بس ده حقك عندي ومالوش علاقة إنك قليل الأدب وبأنى مخاصماك»، فوقفت أمامها خجلان ومحرج كطفل صغير يكتشف مدى ضآلته أمام فيضان من الحب، وتذكرت يوم أن تشاجرت معها لأنها كلمتني ست مرات على الموبايل أثناء سفري مع أصدقائي، فعاقبتني في المرة التي تليها بالتجاهل التام.. فوجدت نفسي أتصل بها وأنا أسألها «هو إنتي مقلقتيش عليا طيب؟».

ما اكتشفته في الوحدة شيئان، أن أمي ليست مجرد ست، هي دكتورة، ومدرسة، وأخصائية نفسية، وممرضة، وطباخة، وخياطة.. وأن الإندومي طعمه وحش أوي.

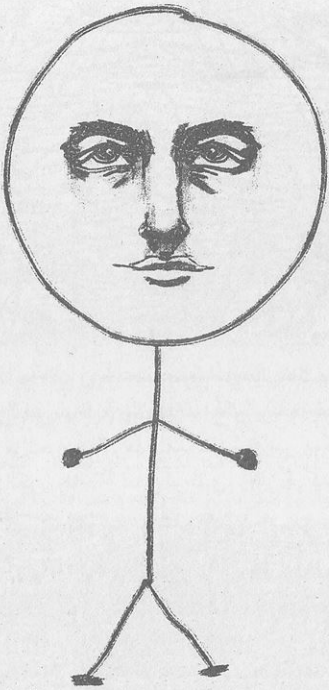

أنا عمري ما كنت مخلص لحاجة، لو كنت مخلص لدراستي كان زماني الأول، ولو
نت مخلص لشغلي كنت بقيت أكبر بكتير، ولو كنت قلت للبنت اللي عجبتني أنها
جبتني كان زمانا ارتبطنا، ما أخلصتش لرياضة أو هواية أو ريجيم، مشكلتي إني باجي
النص أزهق مكملش، أنا طول الوقت نص متحمس للفكرة، ونص كسول إني
ملها .. فمحققتش الحاجات اللي أنا عايزها بس حققت حاجات شبهها.. ومبقتش
.. بقيت واحد شبهي.

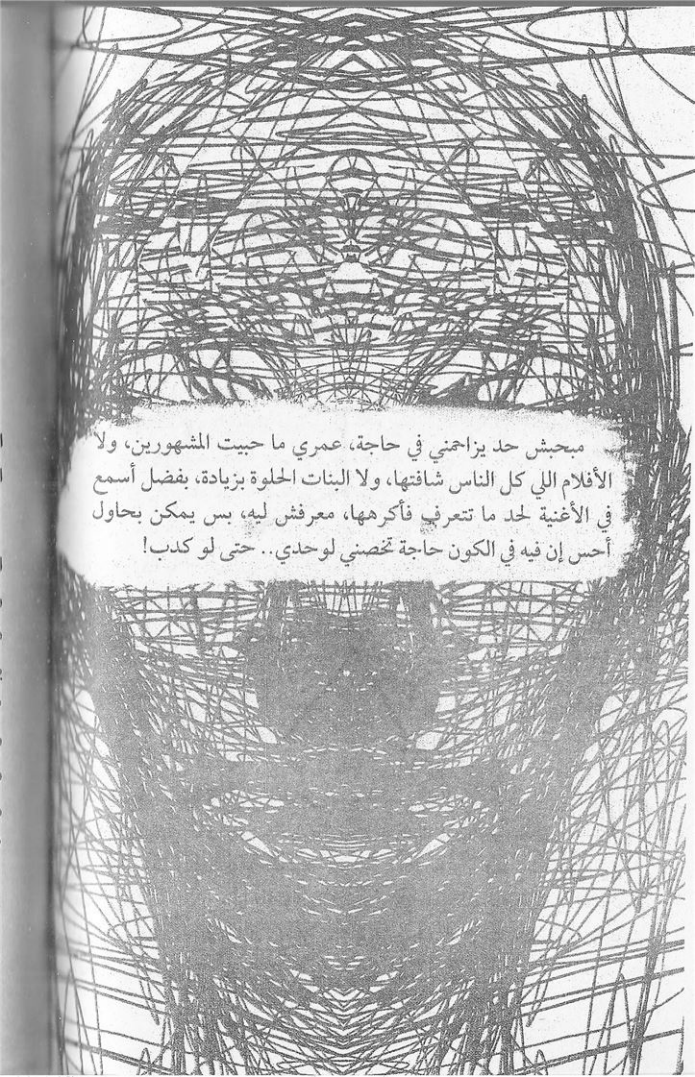

مبحبش حد يزاحمني في حاجة، عمري ما حبيت المشهورين، ولا الأفلام اللي كل الناس شافتها، ولا البنات الحلوة بزيادة، بفضل أسمع في الأغنية لحد ما تتعرف فأكرهها، معرفش ليه، بس يمكن بحاول أحس إن فيه في الكون حاجة تخصني لوحدي.. حتى لو كدب!

فيلم عربي

- ١ -

من حبي للسينما أصبحت ثلاثة أرباع ثقافتي من الأفلام، أشعر طوال الوقت بأنني البطل الذي أشاهده، كنت أرى أن السينما واقعية، وأن ما في السينما هو ما يحدث بالواقع، لذا حاولت أن أعيش الواقع كفيلم سينما.

تحاصرني المشاكل فلا أفعل شيئًا سوى الذهاب للحمام، وأقف تحت الدش أحاول أن أفكر باسترخاء والماء ينهمر على رأسي في لحظات عميقة وتأملية.. حتى يأتيني الخبط على الباب «ما تنجز يا زفت.. أنا مزنوق»، فأخرج عن المود وأخرج من الحمام وأقابل أبي فأبتسم وأقول له وأنا واضع يدي على وسطي: «صباح الخير يا سي بابا» فينظر لي بكل قرف وهو يصرخ: «اسمها حضرتك يا حيوان»، أتجاهل ما يحدث وأستعد للخروج من المنزل وأنا أهيئ نفسي للفطار بسفرة مليئة بشرائح الجبنة الرومي واللانشون والبيض المخفوق وأكواب الشاي بلبن وأتخيلني أخطف زتونية مع ربع رغيف أكله وأنا واقف.. فتصرخ فيّ أمي «يا ابني ما تقعد تاكل» وأنا أقولها «معلش يا ماما متأخر ولازم أمشي»، أما في الحقيقة فأخرج من غرفتي فلا

أجد إلا طبق بلحسة فول ونصف قرص طعمية حزين وبواقي عيش.. فطار لو كان يقدم لقطة لكانوا احترموها أكثر من ذلك!، يرن جرس الباب فجأة فتقف اللقمة في زوري وتنزل بالخلفية موسيقى سسبنس، وأنا أسأل أمي في قلق: «أنتي مستنية حد؟»، فتصرخ فيّ أمي: «قوم أفتح لخالتك يا متخلف»، فأفتح الباب مرة واحدة وبسرعة و بطريقة مفاجئة، فتتخض خالتي وأنا أبتسم ابتسامة شريرة قائلًا: «مفاجأة مش كدة؟!».

أسير هائمًا في الشوارع باحثًا عن تلك اللحظة الرومانسية المعروفة، حتى وجدتها، كانت فتاة جميلة تسير وحدها تحتضن كتبها مرتدية نظارتها الطبية.. كما يقول المشهد المهروس ميت مرة، هرولت نحوها لتحقيق رومانسية السينما الحالمة، لفيت لها من الشارع الآخر حتى أصبحت بمواجهتها بالظبط، تمشي هي في ثبات، بينما أنا أمسك الموبايل، كأنني أكتب عليه مع أنني في انتظار تلك اللحظة وأترقبها، وفجأة حدث التصادم، ووقعت كتبها في الأرض ووقع موبايلي وسط كتبها، انحنينا نحن الاثنان على الأرض، وتلاقت أعيننا في نفس اللحظة، وانتظرت سحر تلك اللحظة.. فنظرت فعلًا في عيني.. ثم صمتت لثوانٍ وقالت: «أنت متخلف يا ابني، أنت غبي يا حبيبي؟»، ثم للملمت حاجتها ورحلت وأنا أقف مكاني مصدومًا، حتى وجدت فتاة أخرى لا تقل حلاوة عن الأولى فاستبدلت المشهد بمشهد رومانسي مهروس أعرفه جيدًا أيضًا، كانت الفتاة تسرع بخطواتها ثم ركبت فجأة سيارتها وانطلقت، وهنا أوقفت أقرب تاكسي ثم ركبت فيه وقلت له بلهجة الأمر وهو يتحرك: «ورا العربية دي يا أسطى بسرعة» ففرمل فجأة ثم نظر لي بغضب وقال وهو يشخط: «انزل يا وسخ.. انزل يله».

وصلت للعمل، وجدت خصم نصف يوم بسبب التأخير، هنا جن جنوني، دخلت على المدير فجأة، وأنا في رأسي مشهد أحفظه عن ظهر قلب سيخشع من بعده المدير على الفور، تجاوزت السكرتيرة، واقتحمت غرفته ورزعت بيدي على مكتبه، وأنا أصرخ في وجهه: « يكون فى علمك أنا لو وقعت مش هقع لوحدي، أنا معايا مستندات توديك في ستين داهية»، وكما توقعت اترعب الرجل.. أعرف خطورة هذه الجملة في السينما على رؤساء العصابات، فضغط على زر لديه على المكتب توقعت أن يكون البوفيه، ولكنهم كانو رجال الأمن الذين رزعوني علقة موت ..

خرج الدكتور من غرفتي، وأنا أتوقع أن يلتف حوله أسرتي في فزع يترجونه: «طمننا يا دكتور»، فيتنهد وهو يقول لهم في أسى «البيه كويس بس هو أعصابه تعبانة شوية .. يا ريت محدش يضايقه أو يعرضه لأي ضغط عصبي وادعوله الـ٢٤ ساعة الجاين يعدوا عليه بخير»، ولكنني سمعته وهو يقول لهم «ده بيدلع.. سيبوه زي الكلب لوحده هيخف».

أجلس على السرير بائسًا وعاجزًا، أحاول أن أسرح بخيالي السينمائي، أن تلفت انتباهي فتاة فاتنة، ويهمس لي صديقي في أذني عندما يراها: «انسى.. غيرك حاول كتير ومعرفش»، فأتحداه وأتحدى نفسي وأعمل المعجزات حتى تقع في حبي، وتستمر علاقتنا حتى تأتي لي يومًا وهي منهارة تخبرني بأنها حامل فأخبرها بحزم «الواد ده لازم ينزل»، وأماطل في الزواج منها حتى تقابلني في كازينو يطل على النيل تخبرني في أسى «جالي عريس يا أحمد اتصرف»، وعندما أخبرها بأن تصبر عليا تبكي وتنهار وتنصرف فجأة فأنده عليها بإلحاح، «يا نادية.. استني بس يا نادية»، وأخرج نقودًا غير

معدودة من جيبي وأتركها على الطاولة وأجري وراءها مسرعًا، ثم انصاع للأمر الواقع وأذهب لخطبتها، ويخبرني أبوها في صالة بسيطة، بأن الفرح الخميس الجاي، ثم يمر أسبوعان وتخبرني بأنها حامل فأصرخ فيها: «يعني إيه، يعني هبقى أب؟»، فتنظر لي نظرة «أنت عبيط يا ابني»، فأكمل «لا من النهارده أنا هعمل كل حاجة وإنتي هتبقي برنسيسة في مكانك».. أفيق من أحلامي على وجع من عيني المتورمة، فأعود للواقع، أقنع نفسي بأن السينما أوهام، وأن عليا أن أعيش الواقع من تلك اللحظة، حتى يرن الموبايل فجأة برقم غريب، فأرجع في كلامي في لحظة، وآخذ نفسًا طويلًا استعدادًا لتلك المكالمة الغامضة التى رأيتها كثيراً بالأفلام والتي سأرد فيها بثلاث كلمات على الترتيب: «ألو..أيوه أنا؟ إيه؟ طب أنا جاي حالًا!».. استقبلت المكالمة استعدادًا للسسبنس، وقلت بصوت مخطوف: «ألو» .. فجاء من العالم الآخر صوت حريمي حاد يسألني «أم عبير معايا؟!».

- ٢ -

تعرفت عليها في إحدى المناسبات التي تحدث في تلك الأماكن المفتوحة، فاندمجنا سويًا في السير، والحديث بعيدًا عن البشر، أؤمن بكيمياء اللقاء الأول .. في الكيمياء يحدث أنه من بين آلاف العناصر تختار عناصر معينة بعضها و تحدث بينهم تفاعلات، تفاعلات رغم أننا لم نرها إلا أن ذلك لا يمنع أنها قد حدثت وأنها كوّنت شيئًا جديدًا يجمعهم تمامًا كما حدث بيننا أنا وتلك الفتاة، نوع غامض من التفاهم يخلق التسلية، أن أجمل العلاقات

على الإطلاق هي العلاقات التي يشعر فيها الطرفان بالتسلية، وأن هناك الكثير من الكلام ما زال موجودًا ليقال، تكلمنا حول الكتب والموسيقى والسينما وكثير من الموضوعات التافهة، ثم غادرت وانتهى اليوم كحلم جميل، وأرسلت لها رسالة أشكرها على هذا اليوم اللطيف، وذلك النوع من الرسائل هو بمثابة مدى رضا الزبون عن مستوى جودة الخدمة التي يكون في مفاداها « أنا انبسطت وخلينا نكررها».

كنت أود أن أسألها «أبهرك وبعدين أحبك، ولا أحبك وبعدين أبهرك؟»، وقررت أن أبدأ بالإبهار، كان عيد ميلادها، وكنت قد قررت المغامرة، واستعددت بتحضير عدد من الهدايا التي ستحبها، وكتبت لها جوابًا بخط يدي أفضفض لها عما يدور بداخلي لها من أول لقاء، وسلسلة فضة تحمل اسمها بشكل فني صنعت لها خصيصًا، لا أعرف شيئًا عن عنوانها، سوى أنها تسكن بمساكن طلبة أحدى الجامعات الأجنبية بمدينة الرحاب، وآخر باص يخرج من الرحاب في الشتاء، يكون في حدود الحادية عشرة مساءً، وأنا أقف الساعة الحادية عشرة أصلًا استعدادًا للذهاب بسبب تأخر استلام الهدايا، كان الجو في غاية البرودة كعادة طقس فبراير، تحركت وأنا أنتفض من البرودة، كنت وحدي بالأتوبيس، لا أجد ما يشغلني فأتأمل الهدايا وأتفحصها بعناية، كأنها مهداة لي ولست من أهاديها، أتخيل رد فعلها على المفاجأة، ما ستقوله وما تفعله، ثم فجأة أدركت أن هناك شيئًا ناقصًا.. بوكيه ورد! الهدية ملهاش لزمة من غير بوكيه ورد، هكذا استنتجت، وقررت أن اشتريه عندما أصل هناك.

نزلت من الباص، لأصطدم بتيار هوائي بارد، دغدغ عظام صدري،

ظللت أتمشى كثيرًا والساعة تقارب منتصف الليل ولم أجد صريخ ابن يومين، حتى الكلاب الضالة اختفت، كانت الأمطار شديدة وعوامل البرودة أجبرت كل المحلات على الإغلاق، وأجبرت الناس على التزام بيوتهم، أسير بكيس الهدايا الموف بخطوات مهزومة، كجندي وحيد نجا من حرب مات فيها جيشه بالكامل ولا يدري لأين يتجه.

ظللت أمشي وأمشي، لعلي أجد شخصًا أسأله عن محل ورد هنا، ولكن لا هناك أي أثر لأي بني آدم، حتى سمعت صوت موتور موتوسيكل على بعد مسافة مني، أنتظرته وشاورت له كشخص يطلب الإنقاذ، وقف الموتوسيكل وظهر البطل، هو ديليفري طيار، عندما خلع خوذته اكتشفت أن عمره لا يتعدى الأربعة عشر عامًا، سألته عن أقرب بائع ورد هنا، فنظر يمينًا ويسارًا مستنكرًا سؤالي، وأخبرني بأن كل المحلات قد أغلقت، شكرته بحزن، ثم ارتدى خوذته وانطلق وهو ينظر لي بأسى، وابتعد صوت موتور الموتوسيكل تدريجيًا، ثم فجأة بدأ يظهر مرة أخرى في التصاعد، حتى وجدته قد عاد لي ويصرخ فيّ: «بقولك إيه.. اركب».

كانت البرودة مضاعفة على الموتوسيكل ونحن نصطدم بكل تيارت الهواء بكل غشومية، لم أكن اعرف وجهتنا ولكنه قال لي إنه يتذكر محلًا للورد يهوى صاحبه أن يسهر فيه ليلًا لسماع الأغاني القديمة ويعتقد أنه لم يغلق محله كونه راجل صاحب مزاج، فسألته: «وأنت رايح فين أصلًا؟»، فأخبرني بأنه يحمل طعامًا لأحد زبائن مطعمه لتوصيله، ولكنه سيوصلني لبائع الورد، فرفضت وأخبرته بأن يذهب لأكل عيشه أولًا، ولكنه قال لي بلهجة مستهترة: «يا عم هيحصل إيه يعني؟»، كان سؤاله من تلك

الأسئلة التعجيزية الاستنكارية التي ليس لها رد، فصمت ثم سألني: «هي خطيبتك؟»، فقلت له: «ادعيلي»، قال لي: «ما دام قلت ادعيلي مش ادعيلنا يبقى الموضوع عندك أكبر من عندها»، فضحكت على ذكائه، وضحك هو على ضحكتي، وعلت أصواتنا كأصوات أشباح وسط منطقة مهجورة.

وصلنا أخيرا لمحل الورد، كان صاحبه رجلًا خمسينيًا هاربًا من زمن فات، يجلس يشرب الشاي وليلى مراد تغني في الخلفية «سنتين وأنا أحايل فيك ودموع العين تناجيك يا سبب تعذيبي والاسم حبيبي.. سنتين»، كان يمتلك الرجل صبرًا وهدوءًا في تصميم البوكيه لا يضاهيه سوى صبر ليلى التي حايلت من تحبه سنتين، كنت متوترًا ومتلهوج في تنفيذ المهمة بسرعة، بسبب تسليم طلب الأكل، والغريب أنني كنت أشعر باللهوجة أكثر من الطيار نفسه، اختار الطيار مع البائع بوكيه الورد أبيض في موف ليكون لائقًا على لون شنطة الهدايا.. وهي الفكرة التي لم تأتِ في بالي بصراحة، أنتهى البوكيه وشكرت الجميع .. شكرت البائع الجميل على حبه وشكرت الطيار على وقته، ولكنه لم يهتم وسألني: «وهو أنت عارف مكانها فين؟»، فأجبته هسأل.. فقال: « تسأل مين دلوقتي .. اركب».. قلتله: «لا أرجوك روح مشوارك.. أنا هتصرف».. ولكنه قال بنبرة غضب لا تخلو من العشم: «يا عم يعني هيحصل إيه يعني؟!» .. فركبت وراءه في استسلام.

«بس أنت شكلك بتحبها أوي»، سألني دون أن ينظر إليّ، وأجابوبه وأنا أحمل الورد في ناحية، وشنطة الهدايا في ناحية أخرى وأطير في الهواء «حاجة زي كده».. فقال لي: «تعرف.. أنا كمان حبيت بنت وقعدنا سوا سنتين»، انتظرت التكملة فلم تأتِ فاضطررت لجره ف الكلام.. «وبعدين؟»..

فقال بنبرة خالية من المشاعر: «سافرت السعودية مع أهلها .. عارف أول ما راحت كنا بنتكلم على طول وبعدها بقى مرتين تلاتة في اليوم، وبعدين بقى مرة في الأسبوع لحد ما قطعنا خالص»، تأثرت وأحسست بالذنب أنني قلبت عليه المواجع فصمت احترامًا لتلك المشاعر الحزينة، فأكمل من تلقاء نفسه: «البعيد عن العين بعيد عن القلب.. ماتصدقهمش».

وصلنا لمقر إقامة الفتاة، نزلت من على الموتوسيكل وهاتفتها وكانت المفاجأة أن تليفونها مقفول.. خبر أسود! آخر حاجة كنت عامل حسابها.. جلست من الصدمة على أحد الأرصفة، بينما جلس بجانبي هو، وسألني في تلقائية شديدة وعيناه تلمع من الحيرة: «هنعمل إيه يا صاحبي؟».

وفجأة تحوّل ذلك الشخص من شخص عابر، لصديق البطل في الأفلام الذي يقاسمه الحلوة والمرة، قلت له بانهزام: «مش عارف».. قال لي: «طيب أنا عندي حل.. أديني الحاجات دي وقولي اسمها إيه»، سلمت له الأشياء دون أن أفهم خطته، ذهب هو بخطى ثابتة لحارس الأمن وأخبره بأنه ديليفري، يحمل تلك الأشياء لحاملته، بشرط تسليمها هي شخصيًا الطرد.. وبالفعل استلم منه رجل الأمن الأشياء مع وعده بإرسالها لغرفتها، وتحركنا لعنوان طلبية الديليفري أخيرًا وقد أصبح الأكل باردًا جدًا، وأحسست أنني أفسدت عمله وخربت بيته، وقفت بجانب الموتوسيكل بينما هو يسلم الأوردر حتى وجدتها تكلمني، نط قلبي من مكانه، قالت لي نصًا: «متشكرة جدًا على المفاجأة دي.. باي».

فعلًا! بس كده! خلصتي كده يعني؟ أنا لو مكانها وحد كان عمل كده

كنت نزلت بوسته في الشارع!، وقفت مصدومًا حتى رجع الطيار وأخبرته بأنها كلمتني والحاجة وصلتلها.. قال لي: «دي أكيد طارت من الفرحة»، داريت توتري وجاوبته: «طبعًا.. طبعًا.. أنت عارف دي كانت نازلة بس أنا مرضتش.. خفت عليها من البرد».. فنظر لي نظرة « الحمد لله كل ده ما راحش هدر» وتحركنا لبوابة الخروج، انتظرت أكثر من نصف ساعة في أجواء الإسكيمو، أنتظر فيها أي تاكسي أو مركب أو جمل يمر صدفة، ولكنها كانت صحراء، كل هذا الوقت وهو يرفض تمامًا أن يتخلى عني ويتركني أواجه مصيري الغامض وحدي، حتى مر تاكسي بالصدفة أنقذني، المسافة بين ذلك المكان وبيتي حوالي ساعتين، وكل ربع ساعة كان تليفوني يرن.. أخرجه من جيبي وأقول مهنتش عليها برضه أكيد بتتطمن عليا، ولكن كل مرة كنت أجده الطيار يسألني: «ها وصلت فين؟».. كنت غاضبًا في البداية، ثم حزينًا بالمنتصف، ثم سعيدًا بالنهاية وأنا خارج من تلك القصة بصديق لم أتوقع مكسبه.. وحبيبة لم أتوقع خسارتها، وأن النهاية جاءت مخالفة لكل الأفلام السينمائية التي أحببتها.. ليلتها فقط أدركت انه ليس شرطا ان تكون السينما مشهدًا من حياتي، بل أن تكون حياتي هي من تصلح لأن تكون مشهدًا بالسينما.

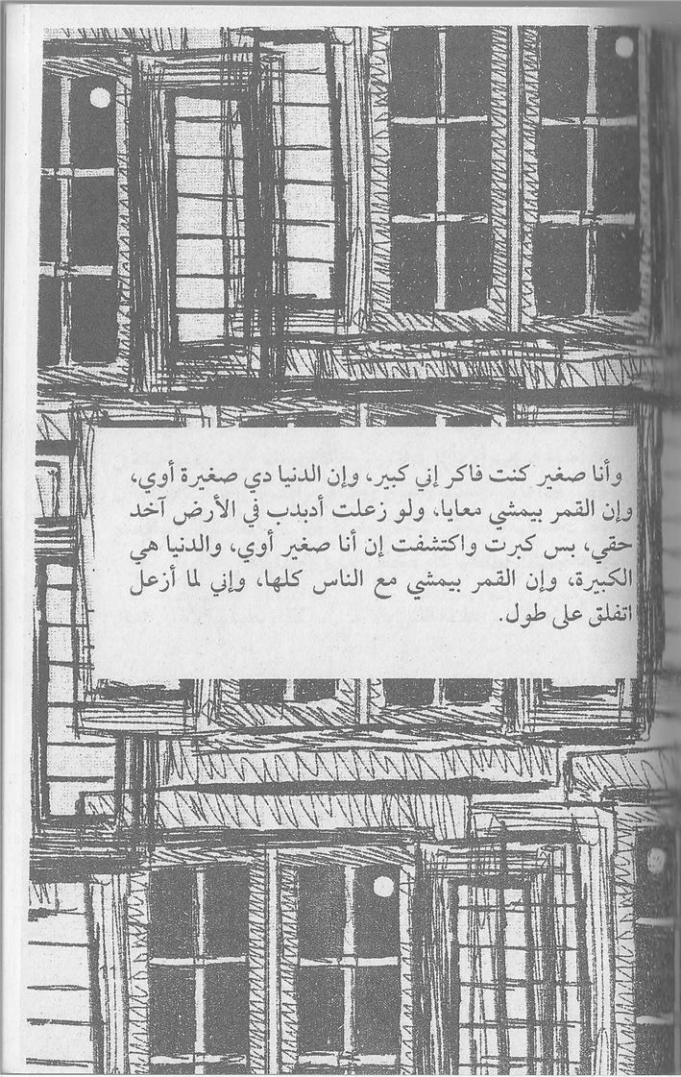

وأنا صغير كنت فاكر إني كبير، وإن الدنيا دي صغيرة أوي، وإن القمر بيمشي معايا، ولو زعلت أدبدب في الأرض آخد حقي، بس كبرت واكتشفت إن أنا صغير أوي، والدنيا هي الكبيرة، وإن القمر بيمشي مع الناس كلها، وإني لما أزعل اتفلق على طول.

نملة تايهة

لا نستطيع تغيير العالم ولكن نستطيع أن نتغير نحن بالأكل، يخذلك العالم وتنتصر لك بيتزا شرقي مشكل جبن تبظ منها الجبن السايحة بكل حب، يترجاك أطباء الريجيم ألا تأكل ليلًا، وتترجاك معدتك ألا تتركها وحيدة في تلك الظروف، تلك الوحدة والحزن والخوف والهدوء واكتئاب الساعات المتأخرة، تتجاهلها بالبداية.. ثم تحاول أن تقنعها بأن كده غلط.. ثم تخضع في النهاية كعادتك لطلباتها كأم تتخلص من زن طفلها.

لا أعرف تحديدًا سر علاقة الليل بالأحزان، ولماذا ربطوا في الأغاني العين بالليل؟

يُحكى في التراث أن «ليل» كان فارسًا يحب فتاة تدعى «عين»، وفي موعد بينهما ذهبت عين ولم تجد ليل، وقيل لها إنه غرق بالنهر، فأخذت عين تبحث عن ليل، وتنادي لأيام كاملة عليه، «يا ليل يا ليل يا ليل»، ثم يئست أن تجده، فألقت بنفسها بالنهر لتلقاه بالعالم الآخر، فأخذ الناس يبحثون عنهما سويًا، وينادون مرة عليه ومرة عليها، حتى تلازمت أسماؤهم في نداء واحد.. «يا ليل يا عين».

لا أصدق تلك الحكاية، بقدر ما أصدق أنه ثمة ارتباط وثيق بين الليل نفسه، وسهر العين، ودموعها، وطيران النوم منها، وتقليب المواجع، والتفكير في كل الأوجاع التي تسبب تقلصات ما بين الضلوع، في الليل تختفي الضوضاء، وينسحب زخم الحياة، ويبقى قليل الحزن الذي يرافقنا أينما ذهبنا واتجهنا، لذا كان الليل هو أنسب أوقات الحزن والشجن وهجوم شريط الذكريات المخيف، تبدأ الحكاية بذكرى باهتة ضعيفة تجر في ذيلها ذكرى تتبعها ذكرى أبشع تليها ذكرى أنيل حتى تشعر بحبل شائك من الذكريات يلتف حول عنقك بلا رحمة، ولم يغنِ أحدهم للنهار.. ففي النهار ليس لأحد وقت للحزن.. والوحيد الذي غنى للنهار كان «عدوية» في أغنية «زحمة»، ولم يغني للنهار أوي بدليل أن الساعة كانت إلا تلت ومعاده معاه تمانية، وفي هجوم اكتئاب الليل عليا غدرًا قررت طرد الأفكار الحزينة الشريرة بالأكل. قمت بخطوات كسولة تجاه المطبخ، أفرغت معلقتين من القهوة في الكنكة مع قليل من اللبن، ثم التقطت شريحة لانشون، ووضعتها برغيف لمس جلده النار، وبدأت آكل وأنا منتظر أن تنتهي القهوة من عمل نفسها، آكل ببطء وأنظر للقهوة، أتجنب أن تفور ولكن بنفس الوقت أحاول التغلب على الملل بالانشغال بأي عمل تافه حتى لا تباغتني فجأة فكرة حزينة تقضي عليا، دُرت بنظري ولم أجد شيئًا يستحق التأمل، فسندت على الحوض حتى وجدتها أخيرًا.

نملة صغيرة تحمل على ظهرها حبة سمسم في نصف حجمها، اقتربت منها أكثر وأنا أراقب سيرها وهي لا تراني، وتلك ميزة أن تكون «شحط» بالنسبة لكائن مثلها.

كانت النملة تتحرك بخطوات ثابتة، رغم ثقل ما تحمله، تسير بفرحة وانتصار، ولكنها في نفس الوقت فرحة ذات وقار..فرحة محمود ياسين كده في افلامه .

تحاول النملة أن تحافظ على سيرها في خط مستقيم، ولكن تعاكسها نقط ماء على سطح الحوض وبقع الصابون السائل وفتافيت طعام أخرى، فتسير بميل لليمين قليلًا متجاوزة كل ذلك وفي نفس الوقت تجاهد للحفاظ على تلك الشيلة الثقيلة، وبينما تسير النملة بكل هذا الكبرياء وضعت أصبعي أمامها مباشرة، هكذا وجدت المسكينة فجأة عمودًا بشريًا سقط أمام طريقها يسده ويعلن حالة الطوارئ، سكنت النملة في مكانها للحظة تستوعب ما يحدث، نظرت لذلك الحائط، ثم قررت سريعًا دون تضييع وقت الاستعانة بخطة بديلة، فأدارت ظهرها لأصبعي ثم أخذت منحى اليمين وتجاوزت أصبعي ثم أكملت طريقها بنفس الحماس والشغف تجاه هدف لا أعلمه، وفي تلك اللحظة شعرت بأنني هفأ.. هفأ كبير، تجاوزتني النملة وكأنني غير موجود، وكأنني حبة هوا، شعرت بالغيظ من عدم احترام تلك النملة المفعوصة لي، وبسرعة التقطت ملعقة ووضعت طرفها الأملس المبطن أمامها.. أعجزها تلك المرة بكل تأكيد، ابتسم وهي تتوقف فجأة وتفزع من سور حديدي زرع أمامها.. تفكر في ورطتها وفي الحصار الذي أصبحت فيه..وشوشتها بأنها النهاية وأنه حان وقت الاستسلام يا حلوة، نظرت النملة حولها تستكشف الأمر، نظرت يمينًا ويسارًا تستوعب ما يحدث وما يمكن أن تفعله في تلك الورطة، حتى بدأت تتحرك يسارًا ثم تنهي مساحة السور الحديدي وتتحرر وتعود لتنطلق للأمام..

تركت المعلقة، وأنا لم أعد أتأمل النملة بقدر ما أتأمل إصرارها العظيم على العبور، رأيت نفسي مكانها، رأيت نفسي أسير بهدفي، وأجد ذلك الأصبع أمامي وأسمعني وأنا أقول: «ليه يا رب بيحصلي كده.. هي ليه مفيش حاجة بتمشي أنا تعبت»، ثم رأيتني وأنا أسير بعدها بغضب ممزوج بحزن وتشاؤم، حتى تقف أمامي تلك المعلقة، ساعتها بالتأكيد سأرمي قطعة السمسم من على ظهري، وأنا أقول لنفسي: «هو خلاص مفيش غيري.. هى ليه دنيا بتاعة ناس وناس لأ».

وقتها انتابني شعور غريب، شعور بالغيرة، الغيرة من حشرة، ممكن أن أقضي على حياتها بضغطة واحدة من أصبعي، أن أفعصها في لحظة، وقد شعرت بأنها أقوى مني، شعرت بمعنى غريب للهزيمة، وشعور أقوى بالضعف والانكسار، أفوق لنفسي وأنا أدرك أنني أقع في الفخ، أنا على وشك الاستسلام لفكرة حزينة تكئب ليلتي فأرفض، وأقاوم، وأقرر أن أكون متفائلًا ، أبحث عن النملة فلا أراها، والتفت للقهوة فأجدها فارت وأغرقت البوتاجاز، هنا أدركت أنه مفيش فايدة.

كنت بستغرب إزاي الراجل ده منتحرش بعد اللي حصله؟ وإزاي الست دي قادرة تتجاوز وتكمل وتعيش؟ بس اكتشفت إني بحس بوجع الناس أكتر منهم، واكتشفت مبالغتي في الشعور بألم أصحابه نفسهم مش حاسين بيه زيي، وإن ربنا زي ما أداهم المحنة، أداهم القدرة على تحملها، والسكينة في تقبلها، أنا صحيح دايمًا بشوفها نار.. بس بتبقى عليهم بردًا وسلامًا.

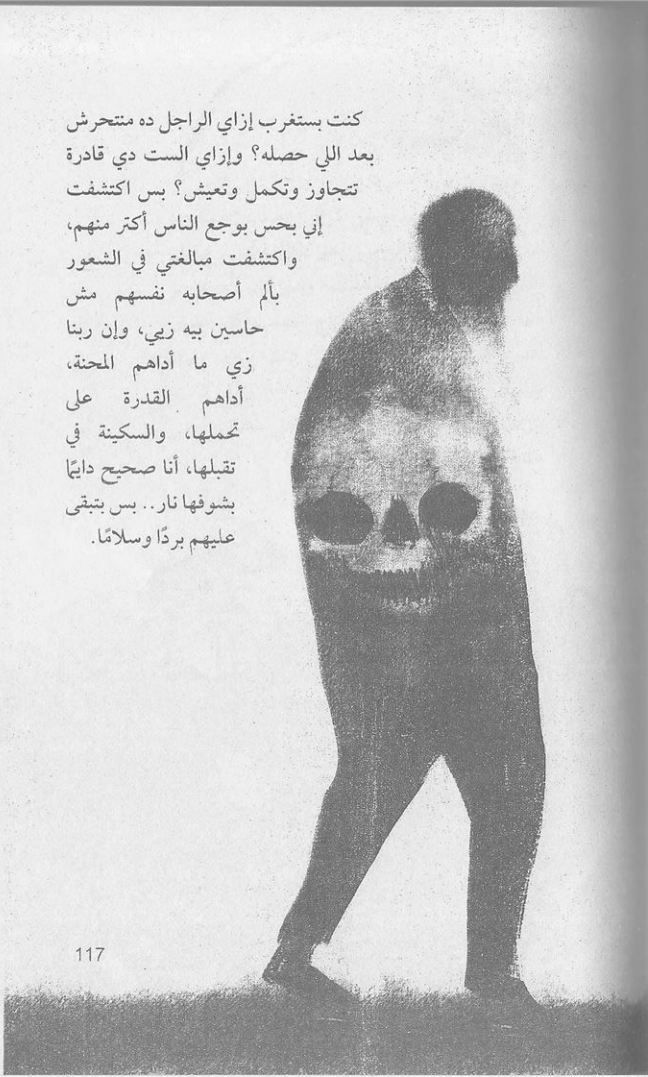

كنت بتفرج بالصدفة على كرتون «هالك» فصاحبه صرخ فيه وقاله «الوحش هياكلنا اغضب عشان نقدر نغلبه»، وهنا رد «هالك» وهو كسول وعاجز «أنا على طول غضبان، أنا محتاج أغضب أكتر عشان أقدر أتحرك»، دي الإجابة اللي كنت بدور عليها بقالي فترة، وأنا بسأل نفسي هي الحاجات اللي كانت بتزعلني مبقتش تزعلني، ولا أنا اللي مبقاش حتى عندي الطاقة على الزعل والانهيار؟!

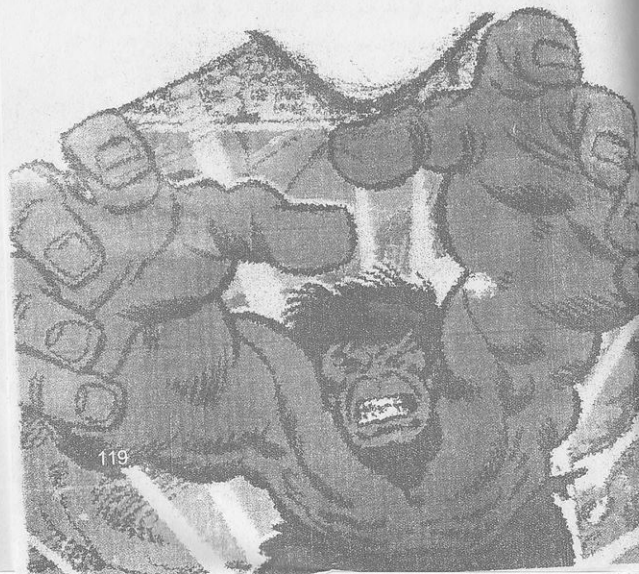

الثالثة فجراً

سمعت خطواته على درجات السلم، فأسرعت اختبئ في غرفتي، كنا نتشاجر منذ قليل.. وأظن أننا لو تقابلنا الآن سنتشاجر مرة ثانية، كانت شخصية أبي القوية تخيفني جدًا، تخيفني حتى من ممارسة الخطأ المشروع لمراهق في سني، فأحاول دائمًا تجنب الصدام معه، تخيفني قوته وتخيفني إحساسي أنه بالصلابة التي لا يمكن أن يكسرها أو تهزمها أي حاجة في الدنيا، فقررت أن أظل في غرفتي حتى غلبني النوم دون أن أدري، مر الوقت ليصبح الثالثة فجرًا، وبنصف إفاقة ونصف إغماءة أسمع صرخات تدوي في المكان، خمنت أنه هزار بين إخوتي البنات، ولكن كان صوت الصراخ عاليًا وجادًا، فخمنت أنه ربما كان صرصارًا يمر بالصدفة أو فأرًا تقابل معهما وجهًا لوجه، فكان هذا الفزع المبالغ فيه، وهو منطقي وطبيعي لأي بنت، ولكن مع استمرار الصراخ كان عليا القيام من السرير بكل كسل لأتابع الموقف.

كلما تخطيت درجات السلم لأسفل كان الصوت يزداد وضوحًا، لم يكن صوتًا واحدًا، بل كان مزيجًا من الأصوات التي تصرخ، حتى وصلت لمصدر الصوت، المكان هو الشارع، والمنظر كالآتي: «أختي الكبرى ترقد

أمام البيت تتألم، بينما أمي وأختي الصغرى تصرخان بجانبها، والدي يحاول تدوير السيارة، ولكن المحرك يخذله، تحاول أختي الصغرى أن تحرك قدم أختي الكبرى لتتأكد أنها سليمة فتصرخ أختي الكبرى من الألم.. وتنهار والدتي بجوارها مع كل صرخة لها، بينما ما زال والدي يحاول تدوير السيارة في عصبية، حتى يخرج منها في غضب ويطلب مني أن أوقظ أحد الجيران لنقل أختي للمستشفى بسيارته، يأتي الجار بملابس نومه ويحملون أختي بسيارته وينطلقون، ويتركوني أنا وأختي الصغرى وحدنا.

هي أختي الصغرى، ولكنها تكبرني بأربع سنوات، حكت لي أن مرور إحدى سيارات الزفاف تحت المنزل كان السبب للفت انتباه أختي الأخرى، فطلت من البلكونة واختل توازنها ووقعت على الأرض تصرخ، «سليمة إن شاء الله».. أقصى جملة استطعت أن أقولها وأنا طالب في ثانية إعدادي لا يعرف ماذا يقال في تلك المواقف، سهرنا حتى الصباح، وانتظرنا أن يأتي تليفون ليطمئننا على أختي المصابة، ولكن جاء تليفون آخر يخبرنا بنتيجة أختي الصغرى في الثانوية العامة وحصولها على مجموع عالٍ، فابتهجنا للحظات، ثم عادت أمي مرهقة، عيناها ذابلتان، وقد طلب منها أبي وأخي العودة للمنزل بعد أن تم نقل أختي لمستشفى أكبر، خبر نتيجة ومجموع أختي في قرية صغيرة مثل التي نقضي فيها إجازتنا، طبيعي أن ينتشر دون أن تعرف كيف حدث ذلك ومن هو مصدره!.

توافد عدد كبير من الأقارب وأصدقاء العائلة للتهنئة، لم تستطع أمي الصمود، فمالت على الكنبة «تفرد ضهرها»، لا بأس من الراحة والتشويش على القلق لأن الموضوع لن يتعدى كسر في الساق، وبينما أنا منهمك في

توزيع البيبسي على الضيوف وعلى خلفية الأغاني المبهجة، دخل أخي فجأة، باهت الملامح، ووجهه منسحب منه الروح، وعلى قميصه ورابطة عنقه بقع دم متناثرة، سألته أمي: «أختك فين.. أختك مجتش معاك ليه؟»، فصمت ثانيتين ثم قال: «جاية ورايا!».. ثم اقترب منها وحضنها وانهار في البكاء، فصرخت أمي صرخة هزت الأرض.. تلك الصرخة التي تفتتح اللطمات وشق الملابس في هيستيريا مناسبة لأم وقعت ابنتها من الطابق الثالث سليمة، بينما من الخضة تفجرت أحشاؤها فماتت.

توقفت الأغاني، وأصبح صوت القرآن عاليًا، وتحوّلت الزغاريد لأصوات البكاء، واستبدل البيبسي بالقهوة، بينما أقف أنا كطفل أسأل: كيف تبدل المشهد كله في لحظة؟!.

لم أستطع الصمود في تلك الأجواء كثيرًا.. تمنيت لو ظللت نائمًا حتى تلك اللحظة، خرجت لأول الشارع، فوجدت أبي وقد حضر من المستشفى بسيارة تكريم الموتى، أتيا بأختي وهي ملفوفة ببشكير أبيض.. لم يكذب أخي عندما أخبرنا بأنها «جاية وراه!».

كان أبي يستقبل تعازي الناس بملامح جامدة، يغرقه الناس بكلمات المواساة، وهو يومىء برأسه مردّدًا جملة واحدة: «أمر الله.. أمر الله»، صليت صلاة الجنازة أنا وأبي وهو متماسك للغاية، وعلى باب المقبرة كان الشيخ يدعي لأختي بالجنة وأبي يؤمن وراءه بقوته المعتادة.

انتهى الدعاء والدفن، والتف الناس حوله يحاوطونه، وهو يشكرهم بكل كبرياء، تحركنا للعزاء، في الصوان توسط أبي مكانه بين أعمامي، حيث

يقف الأكبر سنًا بالمقدمة، فالأصغر، بعد قليل استأذنهم في الجلوس بسبب إرهاقه طوال اليوم، وجلس أبي ساندًا رأسه على ذقنه، وسرح لثانيتين وفجأة انكمشت ملامحه، ثم لمعت عيناه بالدموع، ثم همهم، ثم انهار بالبكاء، انهار لدرجة أنني اعتقدت أنه سيقضي طوال حياته يبكي.. انهار كرجل لم يعرف البكاء يومًا.. تنزل الدموع من عينيه كالفيضان، يحاول أن يكتم صوت نحيبه، فيزداد أكثر، ويعلو صوت أنفاسه متقطعة وسط البكاء فيفيض المكان بالألم، يلتف الجميع حوله يحاولون تهدئته، ولكنه كالبركان يفشل الجميع في الوقوف أمامه، كانت المرة الوحيدة التي أراه فيها يبكي على أحد، كانت المرة الوحيدة التي أراه يبكي أصلًا، كنت أتخيله بالقوة التي طالما رأيته بها وطالما عايشتها، والتي طالما مارسها أمامنا لكي يظل هو رمز القوة لنا في أصعب الظروف، ولكنه لم يستطع في تلك اللحظة أن يكون أكثر من بني أدم ، حاول أن يبقى قويًا بقدر ما استطاع، ولكنه انهار كليًا بالنهاية، اكتشفت ليلتها أن ليس هناك شخص قوي، ولكن هناك شخصًا نجح في أن يداري ضعفه، حتى لو كان ذلك الشخص.. أبي.

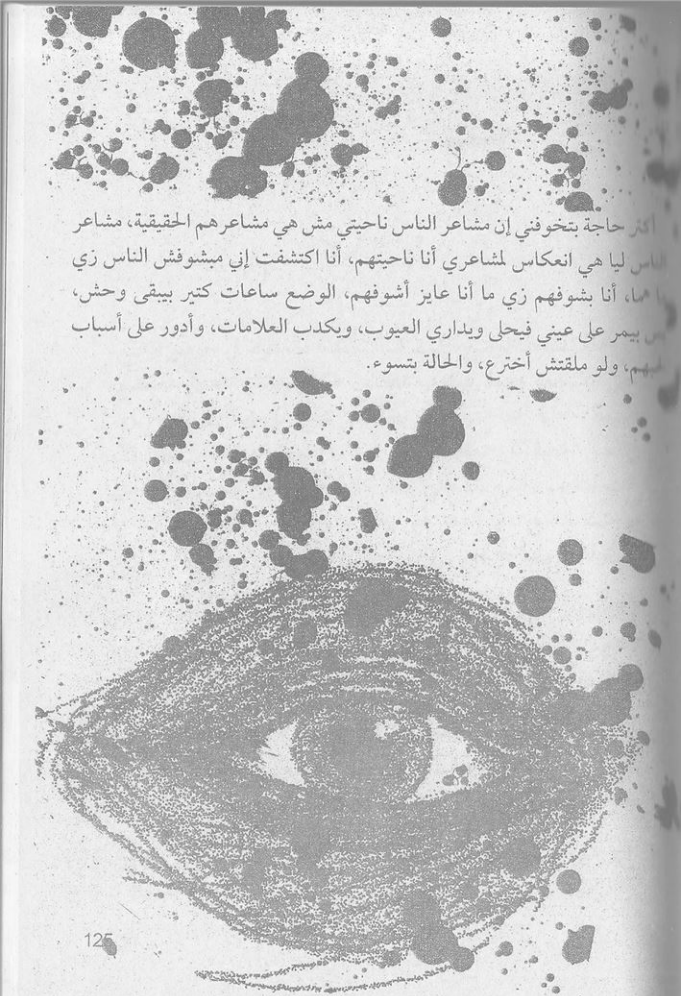

أكتر حاجة بتخوفني إن مشاعر الناس ناحيتي مش هي مشاعرهم الحقيقية، مشاعر الناس ليا هي انعكاس لمشاعري أنا ناحيتهم، أنا اكتشفت إني مبشوفش الناس زي ما هما، أنا بشوفهم زي ما أنا عايز أشوفهم، الوضع ساعات كتير بيبقى وحش، بس بيمر على عيني فيحلى ويداري العيوب، ويكدب العلامات، وأدور على أسباب لتبريرهم، ولو ملقتش أخترع، والحالة بتسوء.

رقم ربنا

في هذا المسجد الواسع، كنت كـ «سمكة» صغنتوتة في حوض واسع، طفل بالسابعة وسط صفوف المصلين الكبار يجلس باهتمام مصطنع، مستمعًا لخطبة جمعة مش فاهم نصها من شيخ ممل وبطيء، يعيد ويزيد في نفس الخطبة كل جمعة حتى شعرت بأنها نفس الجمعة تتكرر ليس إلا، كنت أتثاءب والنوم يسحبني بعيدًا كما سحب الكثير من حولي.. حتى فوجئت بالشيخ يعلن أنه عثر على رقم ربنا واتصل به، كانت الخضة كفيلة بأن توقظني وتصحصحني، وكأنه جردل ثلج مجروش صبه علينا مولانا.

وقال إن الكثيرين يجهلون الرقم، ولكنه وحده عثر عليه وجربه بنفسه وكلم ربنا إمبارح، وقال الرقم هو ٢٤٤٣٤.. رقم لو اتصلت به سوف يرد عليك ربنا وعن تجربة والله.

حفظت الرقم سريعًا، حفظته من كتر ما ظللت أردده بيني وبين نفسي حتى لا أنساه، أول ما وصلت البيت دونته على يدي بالقلم الجاف، وكتبت بجواره «رقم ربنا».

أتى الليل، الكل نام، الهدوء يملأ المكان، وكنت قد قررت أن أؤجل

اتصالي بالله لليل نظرًا لدوشة النهار، أمسكت التليفون الأرضي وقررت أن أطلب الرقم.. ولكن وقفت مع نفسي لحظة، هل سأكلم الله وأنا كدة.. عيب والله؟ قمت استحميت وسرحت شعري ووضعت من بارفان والدي، وأثناء ذلك كنت كطفل أفكر.. هل الدقيقة لربنا بسعر الدقيقة العادية، أم أنها تبع الـ ٠٩٠٠ بجنيه ونص.. أم أنها أغلى من ذلك؟ أم لأنه الله فالمكالمة مجانية؟، وهل سيرد الله عليا شخصيًا أم أنني سأترك رسالة؟ .. لم أتوصل لإجابة، ولكن ما تأكدت منه أنني نفسي أكلم ربنا أوي، كان سيدنا موسى هو فقط من كلمه الله، والآن أصبح الاتصال به سهلًا ومتاحًا عبر التليفون.. إنها معجزة.

كان قلبي يدق بسرعة، ضغطت على ازرار التليفوت الأرضي ٢ ثم ٤ ثم ٤ ثم ٣ ثم تجمدت أصابعي وقلبي يدق بشدة.. ها أنا على بعد خطوة واحدة من تحقيق الحلم.. رقم واحد يبعدني عن مكالمة الله، أسأل نفسي هل فكرت فيما سأخبره به؟ سأخبره عن كل شيء، عن الأحلام، والأمنيات، وأسئلة تُحاصر عقلًا صغيرًا لطفل في سني ولا يعلم إجاباتها إلا هو، أخيراً ضغطت على ٤.. وكانت المفاجأة أن الرقم غير موجود في الخدمة!!

نعم؟ إحنا هنهزر؟ ضغطت على أزرار الأرقام مرة أخرى بشكل أسرع، ولكن الرقم غير موجود في الخدمة! هل ضحك عليا الشيخ؟، هل اتلخبطت في الأرقام؟، لا أعرف، سبعة أيام كاملة وأنا أنتظر الجمعة المقبلة حتى أخبر الشيخ بهذه الورطة الكبيرة.

انتهى الشيخ أخيراً من خطبة الجمعة، وانتظرته حتى سلم عليه الناس،

وقبل يده من قبل، وتبارك به من تبارك، أما أنا فأقف على باب المسجد أنتظره بلهفة، وأخيراً جاء الشيخ وهم بالخروج، مد يده ناحية حذائه فأخذته ووضعته أمامه ليرتديه مباشرة، فابتسم لي شاكرًا ذوقي، واستند عليا وهو يرتديه، ثم أنكجني وسرنا سويًا بخطوات بطيئة، فوجدتها أنسب فرصة لسؤاله : «هو حضرتك متأكد يا شيخ من رقم ربنا اللي اديتهولنا المرة اللي فاتت؟» ، فقال : «آه طبعا»، فأكملت: «أصل أنا كلمته وكان غير متاح»، أزعجته الجملة فقال غاضبًا: «ربنا يابني عمره ما كان غير متاح!».

فقلت أنا متحديًا: «والله اتصلت بيه الخط مجمعش.. هو مش الرقم ٢٢٤٣٤؟».. وهنا ضحك الشيخ بسخرية وقهقه وقال: «آه.. ركعتين الصبح وأربعة الضهر وأربعة العصر وتلاتة المغرب وأربعة العشا.. شفت رقمه متاح إزاي في أي وقت!».

أدركت مقصد الشيخ، أدركت أنه شيخ عميق وعامل فيها نوال السعداوي، ولم أدر بنفسي إلا وأنا أسحب يدي من تحت يده، وأقف بمواجهته أصرخ فيه قبل أن أرحل: «هو أنت كده روش يعني؟!».

أوقات بحس إني مش موجود، مليش أثر كأني دايب وسط الهوا، فاقوم ألبس أشيك حاجة وأحط أحسن برفان، وأروح أغلى مطعم، وأطلب أكتر أكلة بحبها، بس برضه بحس إن محدش شايفني، هو أنا متشفش، ولا أنا مش موجود أصلًا؟!

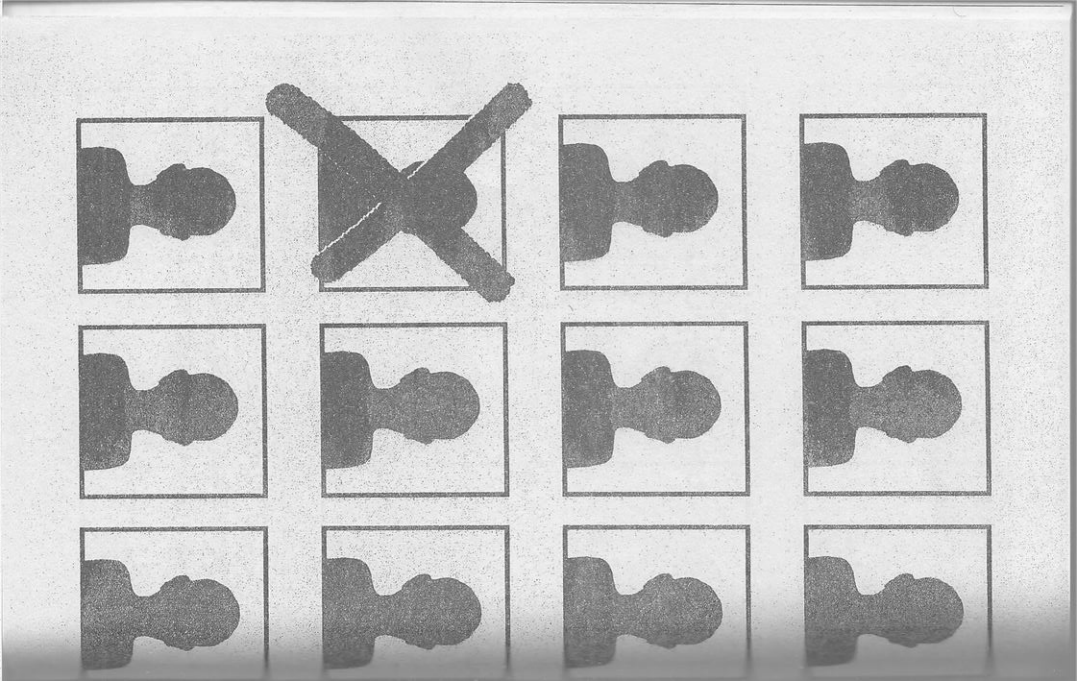

وحيد في عالم أزرق

- ١ -

لم أكن أعرف أنني مريض، ولم أكن أعرف أن كل أعراض ذلك المرض تنطبق علي .

- ٢ -

شراء كل الأشياء التي لا تحتاجها.

في السوبر ماركت الكبير، أدخل لأشتري فقط زجاجة مياه، ولا أعرف كيف أخرج بكل تلك الشنط، أشتري كل الأشياء التي لم أكن أتخيلها، تحكمني فكرة الاستخسار، وتشدني من يدي عبارات «حتى نفاد الكمية»، «ولفترة محدودة»، أجد عرضاً على ماكينة ازالة الشعر بدون ألم أُقبل عليه

وأنا سعيد، ثم أتذكر أنني لا اريد أن ازيل شعري..أتذكر أنني راجل أساساً، ولكن سأشتريه لفتاة سأتعرف عليها تريد ازالة الشعر بدون ألم، أتسمر عند عرض على الفانيليا وقد نزل سعرها نص جنيه، ولكن بإذا نستخدم الفانيليا؟ أبحث على انترنت الموبايل سريعاً وأجد أنها تُستعمل لعمل الكيك، فأشترى بأكثر من مئة جنيه مكونات الكيك لكي أستفيد بعرض النص جنيه .. هو أنا عبيط أفوّت عرض زي ده، في كنتاكي أقف أمام الكاشير أحسبها.. أجد أن شراء الوجبة العائلية يوفر قطعتين مجانًا، أشعر بالنصاحة وأشتري الوجبة العائلية، وأظل آكل فيها لمدة ثلاثة أيام متتالية بكل ملل، ولكن انظر للجانب الإيجابي من الموضوع، أن هناك قطعتين هدية واللي هما باظوا واترموا في الآخر طبعًا.

الشعور بالأمان والدفء وسط الكراكيب.

أشعر وأنا أشتري الأشياء بأن هناك فجوة كبيرة بيني وبين السعادة، أسدها بكل تلك الشنط التي أحملها وأنا أدخل البيت، شعور ما بالانتصار كوني لا أضمن أن أجد تلك الأشياء بهذه الأسعار غدًا، فأنا المستفيد حتى لو لم يُعد هناك مساحة آدمية بالبيت، مش مهم، المهم أنني أسير الآن في ممرات ضيقة لغرفة نومي بين الكراكيب وأنا حاسس بالأمان، أشعر بأنه سيأتي يومًا واحتاجهم، ولكن أمتى مش عارف؟!

احتفاظ الشخص بجميع الأشياء والمقتنيات، بغض النظر عن قيمتها أو مدى استخدامها.

تكمن مشكلتي في كوني أعلم تمامًا بعدم أهمية ما أحتفظ به، زجاجات الروائح الفارغة، وبرطمانات النسكافيه، كروت الشحن التي استعملتها، كراتين الموبايلات القديمة التي لم أعد أستخدمها، الموبايلات القديمة نفسها، كل تلك الأسلاك وكل الشواحن التي لم تعد تعمل، كاوتش عجلة قمت ببيعها منذ سنوات، أطباق الفلين بعد غسلها من أوردرات التيك آواي، هي والمعالق البلاستيك، المناديل وأكياس السوبر ماركت، وعلب مساحيق الغسيل وعلب الشامبو!

الحزن العميق المرتبط بالتخلص من المقتنيات أو مجرد التفكير في ذلك

أفتح الدولاب أتأمل الملابس التي تتساقط من الرفوف، رغم أنني فعليًا لا أرتدي إلا حوالي خمس ست قطع منهم، نصحني صديقي بأنه يجب ألا تظل قطعة ملابس عندي لمدة سنة دون أن أرتديها، وإذا مرت سنة فإنه يجب أن أتخلص منها، تأخذني الشجاعة وأجمع تلك الملابس كلها التي أصبحت ضيقة عليا، بنية التخلص منها، ولكن على آخر لحظة أتراجع وأقول لنفسي: «لا هخسلها».. سنين نفسي أخسلها!.

عدم تقبل الشخص بمغادرة أي من تلك الممتلكات والمقتنيات الشخصية من المنزل لأي سبب كان.

استعار مني صديق كتابًا وجده تحت أنقاض مكتبتي الكبيرة، وافقت على إعارته الكتاب محرجًا وعلى مضض، ومن ساعتها تمتلكني رغبة ملحة في قراءة هذا الكتاب بالذات، أصحى وأنام أحلم بيه، رغم إنه عندي منذ سنوات ولم يدفعني الفضول حتى لتفحص الفهرس، أشعر الآن بأنه أهم كتاب في التاريخ، أحاول الانشغال بقراءة كتاب آخر من مكتبتي المكتظة بمئات الكتب، ولكن أجدني لا أفكر إلا فيه هو، أستيقظ من نومي مفزوعًا قلقان عليه، أكلم صديقي أطمئن هل يعامله كما يجب أم لا.. هل شخبط في صفحاته؟ هل ثنى أوراقه؟، يضج صديقي من إزعاجي وإلحاحي بعودة الكتاب ويرميه ف وشي، وأخيرًا يصبح بين يدي وفي حضني، وماقراهوش طبعًا!.

عدم السماح للأشخاص الآخرين، وإن كانوا من الدرجة الأولى من القرابة بالاقتراب من الكراكيب.

تظل الخناقة الأزلية بيني وبين أمي: «لو سمحتِ محدش يروق أوضتي أنا هروقها أنا»، وهذا لا يحدث طبعًا، لأنها لن تصبح أوضتي لو أتروقت، مشكلتي إن أمي تظن الكركبة إهمال وفوضى تتوه فيها الأشياء، ولا تعرف أنه العكس تمامًا، صحيح هناك كركبة، ولكنني أعرف مكان كل شيء في الكركبة، الترتيب هو الذي يضيع الأشياء، تنظيم الأشياء يوترني ويشعرني

بأنني ضيف في فندق، شعور غير مريح أبدًا، للفوضى معانٍ إنسانية مهمة، ما هي المتعة أن تبحث عن شيء وتجده في لحظتها؟ أين الدراما والدوخة وشعورك بالضياع ثم فقدان الأمل ثم تجد ما تبحث عنه على آخر لحظة، أليس في هذا متعة؟ ألا يشعرك بقيمة الحاجة وبنعمتها؟!

صعوبة تنظيم الأنشطة اليومية، واتخاذ القرارات بسبب المماطلة والتسويف.

على ذاكرة موبايلي عشرات الصفحات الإلكترونية، التي تضم ريفيوهات لمطاعم وفنادق وبلاد في نيتي أزورها إن شاء الله، عشرات المواقع التي تعلّم اللغات الأجنبية عن بُعد، كورسات تعديل الصور من غير فوتوشوب، وعمل محشي ورق العنب، من غير ورق عنب، «بوستات» مهمة على «فيس بوك» هبقى أرجعلها، مقابلة نادرة لعبد السلام النابلسي على اليوتيوب هبقى أشوفها، ١٠» خدع سحرية متعرفش عنهم حاجة» ..هرجعلها ف أقرب وقت..وفي النهاية بتشتت أعمل أيه فقرر معملش أى حاجة خالص.

ذاكرة التليفون تشتكي بسبب عشرة آلاف صورة محتلين المساحة.. عشرات التطبيقات اللي مفتحتهاش من ساعة ما نزلتها، خمسمية اسم على الموبايل، لا أنا بكلمهم، ولا أنا قادر أمسحهم!.

يمنحون أشياءهم أهمية عاطفية كبيرة، حيث تُذكرهم بأوقات سعيدة مرّوا بها.

أؤمن بأن رائحة الأشياء تُعيدنا للذكريات الحلوة، ولكن لماذا أحتفظ بقلم رصاص لي وأنا في تانية ابتدائي؟، دي ذكريات زي الزفت، لماذا أحتفظ بجواب رومانسي لبنت اكتشفت إنها كانت بتخوني؟!

الاكتناز القهري.. مرض تم تسجيله رسميًا عام ٢٠١٣ بـ«جمعية الطب النفسي الأمريكية» كمرض مستقل، بعد أن كان مصنفًا أنه أحد الاضطرابات المرتبطة بالوسواس القهري.

-٣-

أحيانًا عندما نعتاد على الأشياء ننسى كيف كنا قبلها، كيف كانت لقاءاتنا قبل الكافيهات؟ وكيف كانت خروجاتنا قبل المطاعم، وكيف كنا نتكلم قبل الموبايل؟ وكيف كانت حياتنا قبل الـفيس بوك؟ ما الذي كنت أفعله كل صباح عندما أستيقظ، وقبل النوم، وفي المواصلات وأوقات الانتظار في المطاعم والعيادات، وأوقات الملل، كيف كانت حياتي قبله لا أتذكر.

كيف كنت أتذكر أعياد الميلاد قبل الـفيس بوك، لحظة أتذكر.. آه كنت آتي بالنتيجة الضخمة أول كل عام، وأرسم دوائر صغيرة على أيام ميلاد من أحبهم، كنت في الأصل أتذكر التواريخ، ولكن أجعل النتيجة تقوي ذاكرتي، أما الآن الـفيس بوك يذكرني بعيد ميلاد أختي وأمي وأعز أصدقائي!

كنت أشعر بالذنب تجاه ذلك، أشعر بأنني أفقد شيئًا مهمًا لا أعرف ما هو، كان على موعد عيد ميلادي خمسة عشر يومًا، ففكرت أن أخوض تلك التجربة، أن اختبر ذاكرة آلاف الأصدقاء عندي، وقررت تعطيل الفيس بوك إلى تلك المدة.

ذهبت لإعدادات الخروج من على الفيس بوك لتعطيل حسابي، وشعرت بأنها إجراءات معقدة، يطلب مني الفيس بوك أن أحدد الفترة التي سأعطل فيها الفيس بوك بأقصى مدة أسبوع، فخرجت خارج تلك الاختيارات، وطلبت أن تكون المدة مفتوحة، ثم يطلب مني كتابة سبب تعطيل الفيس بوك، وشعرت بأنه تدخل في شؤوني الخاصة أكثر من اللازم فكتبت سببًا وهميًا، ثم طاردتني بعد ذلك صور أكثر الأصدقاء الذين أتفاعل معهم على الموقع وكتب بجانبهم أنهم سيفتقدونني، كنت أشعر بأنه ليس مجرد خروج من موقع بقدر ما هو عيل رخم ماسك في بنطلوني.. ولكن خرجت أخيرًا.

في اليوم الأول، أول ما استيقظت من نومي، كانت أصابعي تتسحب نحو الموبايل تلقائيًا لفتح الفيس بوك، حتى تذكرت أنه معطل، للحظة أفكر أن أتراجع عن قراري، ولكنني تخليت عن الفكرة متغلبًا على وساوس الشيطان، تكررت تلك العادة طوال اليوم بأوقات مختلفة، أشعر بأن هناك شيئًا ما ينقصني، شيئًا ما يناديني نحو الموبايل، فأمسك الموبايل على الفور لمدة دقيقتين، ولكن أشعر بأن الموبايل دون فيس بوك عبارة عن حتة حديدة فأتركه، في منتصف اليوم الثاني بدأت تظهر عليا أعراض انسحاب مدمني المخدرات والكحول، بدأت تظهر عليا مشاعر الغضب والتوتر والقلق والعزلة، وتحوّلت الرغبة في تصفح الموقع لإلحاح.. لهوس.

كنت أشعر بأن اليوم طويل جدًا، اكتشفت أن معدل تصفحي للفيس بوك كان على الأقل أربع ساعات على فترات متباعدة في اليوم، أدخل للرد على رسالة، وأقول لنفسي هرد بس على الرسالة حتى أجد رسالة أخرى تنتظرني، أرد حتى أجد صاحب الرسالة الأولى قد رد، ثم فجأة تصبح هناك رسالة ثالثة لشخص لمحك «أون لاين»، أدخل لتصفح الموقع دون خوانة وفجأة أجد «تاج» يفعله صديقي لموضوع فأعلق برأيي فيقوم شخص ثالث بتعليق يستفزني، فيرد شخص رابع يشعلل الليلة، حتى أجد نفسي فجأة انتقلت من الموضوع الرئيسي للرد على الشتيمة بأمي.

حاولت أن أنعش ذاكرتي، كيف كنت أعيش قبل الفيس بوك، اتجهت للقراءة، في المكتبة لديّ ثلاثة رفوف للكتب، رف للكتب التي أنوي أن أولع فيها بجاز لرداءتها، ورف به كتب كنت أنوي قراءتها على المدى الطويل، ورف به كتب أنوي قراءتها على المدى القريب، وهذا الأخير كان لا يتحرك تقريبًا.. رصته على حطة إيدك، أقرأ في الكتاب وأول ما اندمج في الأحداث تتردد أصوات النوتفيكشنز، فأترك الكتاب وأمسك الموبايل، وأعود للكتاب مرة أخرى، فأجدني قد نسيت أصلًا ما كنت أقرأه، فأعود للقراءة من أول وجديد، وحينما أصل لنفس الجزئية تأتي أصوات النوتفيكشنز مرة أخرى.

أنا الآن أجلس في يدي الكتاب ولا يوجد لآثار النوتفيكشنز، ولكن أشعر بأنني مشتت، كل بضع دقائق أشعر بأنني أفقد التركيز، اجد مشكلة بالاستمرار في قراءة الكتاب كما كنت قديمًا، الآن أشعر بالملل أسرع مما يجب، أحاول أن أركز وتنتهي الصفحة، وأجدني أمررها بإصبعي من أعلى

لأسفل قبل أن أتذكر بأن عليا تقليب الصفحات وليس تمريرها، أندمج في القراءة مرة أخرى، ثم أصل لنهاية الصفحة وأنظر أسفلها باحثًا عن التعليقات.. واضح أنني أهلوس.

في اليوم الخامس، كنت قد تغلبت بشكل كبير على قلة التركيز، وأنجزت قراءة الكتاب كله، رغم أنني وصلت لربعه بالعافية في شهر، واستغليت الفرصة لأحرك لستة الأفلام التي وضعتها لمشاهدتها ولم أفعل، ولأول مرة أستمتع بمشاهدة فيلم كامل دون فواصل.

خلال أسبوعين من التجربة لمست بنفسي بعض النتائج، قرأت ثلاثة كتب، وشاهدت ١٥ فيلمًا، شعرت بأنني استعدت ٧٠٪ من تركيزي، لأول مرة أنام لمدة ثماني ساعات متواصلة، بعدما كنت أعاني من اضطرابات النوم المتقطع، بعدما كنت أستيقظ فقط لتصفح الفيس بوك والنوم مرة أخرى، بالإضافة وضعي الموبايل يشحن طوال الليل بجانب رأسي كونها الفترة الوحيدة التي لا أمسك فيها الموبايل، وأصبحت مجبرًا أن يكون مصدر معلوماتي هو المواقع الإخبارية نفسها، وليس الفيس بوك الذي كان مصدري الوحيد في الحصول على المعلومات، والتي كان معظمها خاطئًا أو محرفًا وتم عمل منها مئات الصور الساخرة دون التحقق من صحتها، وأظن الأمر له علاقة بشجاعة ناتجة عن إخفاء الهوية.

اكتشفت لأول مرة أن لون سقف الحمام رصاصي مش أبيض، واكتشفت أن معدل القلق انخفض كون أماني النفسي كان يعتمد دائمًا على مدى شحن بطارية الموبايل، وشعرت بتحسن كبير في صحتي النفسية، لأنني بعيد عن

أخبار الناس وصورهم وسفرهم واحتفالهم وابتساماتهم، كنت أشعر بتدني تقدير الذات وسط نجاحاتهم، وأشعر بأن العالم كله سعيد إلا أنا، أظن أن شعوري بالسلام النفسي كان بسبب أنني لأول مرة أشعر بأنني أركز مع نفسي وليس مع الآخرين، مشغول بحياتي أكثر من حياتهم، لم أكن أدري بكل التغيرات التي طرأت لي بسبب إدمان الفيس بوك لأنني كنت مشغولًا فيه للدرجة التي لم أستطع التقاط نفسي، للدرجة التي لا الحظ فيها هل حدث لي تغير فعلاً أم لا!

أما على الجانب الاجتماعي فقد قضى عليا شعور الوحدة والعزلة، أنا الشخص الذي كنت أشعر بأنني شبكة علاقات اجتماعية كاملة، وجدت نفسي منزويًا حقيرًا، كان لديّ أصدقاء في الواقع، ثم أصبحت علاقاتنا بالتليفون، ثم أصبحت على النت، وعندما انقطع النت انقطع العالم..

هاتفني صديق، لاحظ غيابي بعد أسبوع وسألني : أنت قفلت الفيس بوك؟ سعدت لأنه لاحظ غيابي، ولكن انقبض قلبي للحظة التي شعرت فيها بأن الوضع أصبح معكوسًا، إن الناس تلاحظ غيابك عن العالم الافتراضي، ولم تلحظ غيابك بالعالم الحقيقي، كنت المفترض أن أشعر بالعزلة وأنا على موقع إلكتروني وبعيدًا عن الواقع، كيف أصبحت أشعر بالعزلة وأنا خارجه؟

لم يوحشني الشات، ولكن وحشني البشر، وحشني الناس، والناس أصبحت هناك، وأنا هنا وحدي..

في اليوم الخامس عشر، كان يوم عيد ميلادي المنتظر، في عيد ميلادي الماضي

تلقيت حوالي ثلاثة آلاف رسالة من مجموع ستين ألف متابع، الفيس بوك، قد نبه الجميع بعيد ميلادي وقتها، فلما أغلقته الآن كم شخصًا تذكر؟! تلقيت خمس معايدات من خمسة أشخاص بالعدد، خمس أشخاص فقط من يتذكرون عيد ميلادي، دون أن يزغدهم أحد ويخبرهم بأن يخلوا عندهم دم ويهنوني.

ليلتها فقط، اكتشفت أنني أملك آلاف الصداقات الوهمية حبيسة الواقع الافتراضي التي توجد هناك فقط، أما بمجرد إغلاق الموقع، فتنتهي كل تلك العلاقات والتفاعلات، الحب، الحميمية، الود، والقلوب الحمراء. اكتشفت أنه يكون محتفى بيك طالما بداخل عالمهم، إنما ليس ليك أي قيمة خارج ذلك العالم، وأن تلك العلاقات التي بنيت عليها حياتي ليست من لحم ودم، وإنما مجرد تعليقات وصور وحكايات ولايكات وشير، والكثير من «الإيموشنات» المضحكة المزيفة.

كان جميلًا من الفيس بوك، أنه جعلني أتواصل مع صديق بعيد عني جغرافيًا، أن أشاركه حياته ومناسباته، كأنه يعيش في الشارع اللي ورايا، ولكن المشكلة أن صديقي اللي في الشارع اللي ورايا، أصبح هو أيضًا بنفس تواصل صديقي البعيد، لقد أصبحنا كلنا قريبين جدًا.. بعاد جدًا.

ما اكتشفته في ليلة عيد ميلادي الحزينة، أن الفيس بوك جعل كل همي هو تجميع أكبر عدد من الأصدقاء، دون أن أشعر مدى حقيقية تلك الصداقات أصلًا، تقول «نظرية دنبار»، إن حجم المجموعة يتناسب مع مدى كفاءة أفرادها في التواصل، بمعنى أنه كلما زاد عدد أفراد الناس زاد الوقت

المطلوب في التواصل مع الناس، ولأن الوقت محدود والطاقة محدودة، يقول «دنبار» إن الإنسان بأي الأحوال لن يستطيع التعامل مع أكثر من ١٥٠ شخصًا، ليحافظ على التماسك الاجتماعي، وكل إضافة شخص جديد يفسد هذا التماسك، ويفسر بذلك أن الجيوش بدأت في الانقسام لوحدات، والمدن لقرى، والشركات لمجموعات، لأنه لن يستطيع أحد أبدًا التواصل مع كل هذا العدد، هكذا جعلني الفيس بوك، علاقات أكبر بروابط هشة ودائرة واسعة خاوية.

عدت للفيس بوك وعاد تواجدي وعادت اللايكات والرسائل، ولكنني عدت هذه المرة، وأنا بداخلي قرار مهم، أن يصبح الفيس بوك وسيلة للتواصل وليس وسيلة التواصل، قررت الاستغناء عن كل العلاقات الوهمية، والانغماس في الحياة الأصلية أكثر، وأن أقوي علاقتي بهؤلاء الأصدقاء الخمسة، صحيح أنهم قلة، ولكنهم كانوا حقيقيين، أظن أنني في أولى خطوات العلاج من الاكتناز القهري.. إيه ده أنا بخف ولا إيه؟!

النهارده بنت كتبتلي على منديل وإحنا بنتعشى «مع بعض للأبد»، وحطيته جنب ١١ منديل لـ١١ بنت كتبتلي نفس الجملة.

بوكيه ورد

عزيزتي..

ازيك؟

أتخيلك الآن وإنتي متلهفة لاستقبالي، بعد أن وصلتك تلك الرسالة مرفقة ببوكيه الورد التوليب الذي اخترتيه، ولكنني أرسلتهم بالنيابة عني لأنني لن آتي. أعرف أنه خبر مفاجئ، أتخيل ملامحك الآن وإنتي تبتسمين ظنًا منك أنها مُزحة جديدة أو مقلب كما اعتدتي أن أفعل دائماً، ولكنني أخبرك أنني جاد جدًا - ولأول مرة - فيما أقوله لك، أرجوكي تماسكي وأعطيني الفرصة لكي أشرح لك وجهة نظري كاملة، أعرف أنه من البجاحة أن تسمعيني بعد ما أبلغتك بقراري.. وأعرف أن أي كلام الآن هو تافه وساذج، ولا يناسب هيبة الموقف وفزعه، وأعلم أن مهما كانت مبرراتي فهي تحصيل حاصل ولن تغير شيئًا.. تمامًا كورقة أمنيات لشخص محكوم عليه بالإعدام..

عزيزتي.. في اللحظة التي تصلين فيها لهذا السطر أعرف أنني قد خسرتك، كما خسرت الكثير، ولن أنتظر مرور الوقت لكي أدرك قيمتك، أنا أدركها من الآن، ولكن فات الأوان على التراجع، أشعر كما لو أنني سيارة تسير بسرعة شديدة نحو الاصطدام، بسرعة تمنعها تمامًا عن التوقف!

نعم أنا هو نفس الشخص، الذي اتفق معك على الزواج، أنا الذي حددت معك الموعد، واشتريت معك فستانك، وخاتمك، وبدلتي وحذائي الأسود اللامع، وأنا هو نفسه الذي يقول لك الآن إنه لن يأتي، ولن يتورط في تلك التوريطة، وسامحيني على ذلك اللفظ، لكنها توريطة لك قبل أن تكون لي.. لقد قررت من فترة أن أتوقف عن كل الأفعال التي أفعلها غصب عني أو مجاملة، بعد أن تحوّلت حياتي لأكوام من الأفعال والقرارات غير المقنعة، فتحولت على إثرها لشخص غير حقيقي، يعيش حياة بلاستيكية مصطنعة، وأعلم تمامًا أن الموقف محرج أن أهرب ليلة الزفاف، ولكنه ليس أكثر إحراجًا من هروبي بعد أسبوع من الزواج مثلًا..

عزيزتي.. أنا لست مجنونًا ولا مختلًا، ولكنني شخص متناقض لأقصى درجة، أنا بإمكاني أن أقوم بفعلين متناقضين تمامًا لنفس الموقف وأقنعك كل مرة بموقفي، وأقنعك أنه الفعل المناسب والصحيح، وهذا هو أفظع عيوبي التي فشلت في فهمها وفي فهم نفسي، أنا أعلم أنك تنظرين على ما فعلته أنه جريمة، ولكن دعيني أقف أمامك عاريًا لأول مرة بعد أن بدوت لطيفًا لك كل تلك الفترة، صحيح أنني لم أكن مزيفًا، ولكني لم أعرف في نفس الوقت أن أكون حقيقيًا، كنت في كل مرة أحاول أن أصارحك بما بداخلي يخرجني حديثك عن أمنياتك بالبقاء معي، وعن حلمك بالحياة الصغيرة التي ستجمعنا، وعندما تصمتين أحاول أن أستجمع كل شجاعتي للحديث بصراحة، فتحرجني نظرات الأمان الذي تشعرينه نحوي، فأغير دفتي وأتكلم كلامًا كاذبًا عن الأمل والحب والسعادة، وتلك الكلمات الثلاث تحديدًا لم أصادفهم في الواقع، ولم أقابلهم إلا على صفحات الروايات والأفلام وقصص مجهولة المصدر على الإنترنت.

تهربت منك كثيرًا عندما كنتي تسأليني عن أصدقائي، كنت أتهرب من مقابلتك لهم بحجج كثيرة، ولكن الحقيقة أنني ليس لي أصدقاء، ولا تسأليني لماذا؟ ربما في لحظات طيش أنهيت علاقات كان يجب أن تستمر، وبعدها حاولت أن أتعلم من خطئي فأبقيت بكل صبر على علاقات كانت لا بد أن تنتهي فأهلكتني، والحياة تحسم بالتفاصيل وليست بالنتائج، والنتيجة أنني بلا أصدقاء، يُحاصرني دائمًا كابوس، أرى فيه نفسي يوم الزفاف، وأنا أرقص وحيدًا، بينما إنني محاطة بكم كبير من الفتيات الجميلات، وخشيت دائمًا أسألك: هل تعرفين مكتب لتأجير أصدقاء لليلة محرجة مثل تلك الليلة؟ أو ليلة لا تجديني فيها فتتصلي بأحدهم تسأليه: «هو بايت عندك النهارده؟».

هل تذكرين اليوم الذي كنت تلعبين فيه مع طفل من زوار الحديقة التي كنا فيها، وعندما انتهيتي من اللعب معه دعوتي أن تنجبي مني ولدًا وبنتًا، وأنا أمنت على دعائك، لم يكن ذلك حقيقيًا مني، اكتشفت من زمن إنني أعاني من فوبيا حمل الأطفال الرضع، ولكن في تلك اللحظة اكتشفت أنني أعاني من حمل مسؤولية الأطفال أنفسهم، أسأل نفسي كيف سأكون قدوة لهم؟ هل ممكن العكس.. يعني هل يمكن أن أكون قدوة عكسية، هل يمكن أخبرهم أن يفعلوا عكسي تمامًا؟ هل ممكن أطلب منهم ألا يكونوا مثلي، هل ممكن أطلب منهم أن يفعلوا ما عجزت أنا عن فعله، وأصبحت بتلك الروح الباهتة، لو كان لي منك ولد وبنت لأخبرتهم الآتي: «أحبوا الحياة وتقبلوها، وأغفروا لمن ظلموكم، وسامحوا من خذلوكم، وأصنعوا سعادتكم بنفسكم، ولا تنتظروا اليد التي تأخذكم لبر الأمان، لأنه ليس هناك أمان إلا في أنفسكم، فلو كنتم الضحية كونوا المنقذ أيضًا، لا

تستخسروا أن تحبوا بكل طاقتكم، لأن الحب سيعود لكم بصور كثيرة، لا تبخسوا قيمتكم في الحياة، ولا تصبحوا بالهشاشة التي تجعل أي شيء عابر يحطم نفسيتكم، وتجاوزوا الصغائر وانظروا للأمور بحجمها الطبيعي، وقللوا عدد أعدائكم، وأخبروا الأشرار إنهم أشرار في وجوههم، وابتعدوا عنهم، ولا تؤذوا أنفسكم بمعارك صغيرة تستهلككم.. أرجوكم لا تكونوا مثلي».

سألني صديقي ذات مرة ما هي معايير اختيارك؟ فقلت إنني أنجذب لا إراديًا لكل العلاقات التي أشعر بفشلها من قبل أن تبدأ، لأن هذا لن يشعرني بالصدمة أو القلق ولا يجعلني أتفاجأ بالنهاية، كنت أعلم من اللحظة الأولى بالمصير.. لماذا المفاجأة إذًا؟، وكل مشكلتك إنك كنتي - لأول مرة - الخيار الصائب الأول في حياتي، لذلك كان لا بد من البعد.. يقلق الإنسان عندما يجد أن اختياره صحيح، لأنه يتحمل مسؤولية ضياعه بعد ذلك، ومن ثم يعيش بقية حياته يشعر الذنب، إنتي جميلة بما يكفي.. وأنا لا أستحق الأشياء الجميلة لأنني موهوب جدًا في تشويهها.

أنا يا عزيزتي أقل من أحظى بشيء جميل، عندما تمر عليا لحظات السعادة أشعر بأن شيئًا خاطئًا يحدث لي، أشعر بأنها لحظات تائهة وصلت لي بالخطأ، وستعود لمكانها الحقيقي، أن دخولك الرائع لحياتي سيفسدها، لأنها تعودت أن تطرد أي شيء جميل، ماذا ستفعل وردة بساحة المقابر؟!

سألتيني أثناء تناولنا العشاء مرة : «هو أنت بتأكلني عشان بتحبني، ولا عشان المفروض تعمل كده؟»، لحظتها تسمرت يدي الممدودة بالشوكة تجاهك، وددت لو أخبرك أن حبي لك يفوق كل محبة هؤلاء البشر

مجتمعين، ولكنني سكت لأنني أحب أن أنكر الحقيقة، يجتمع الناس سويًا أول ما يكتشفوا إنهم واقعون بالحب، أما أنا فأهرب، لأنني أخاف من كل شيء بعده..

لو كنا أغراب لكنت رفضت الزواج إلا من إنسانة أحبها، وها هي إنتي أمامي وأحبك، ولكن أود أن أتزوج من شخص غريب، لا أخاف أن أفتقده، ولا أحزن على رحيله، ولا أسهر طول الليل أشعر بالذنب أنني لم أكفيه بحبي كما ينبغي، فعندما لا يمتلك الإنسان شيئًا يخسره يصبح أكثر شجاعة..

قال سارتر ذات مرة لصديقته التي تعاني من الوحدة «ابحثي عن صديق لا تقعين في حبه».. وأنا أصدقه تمامًا، لأن الذين يتحكمون في مشاعرهم هم الفائزون دائمًا، وأنا أخاف أن يكون حبي هو نفسه سبب افتقادك، وأنا الذي طالما احتفظت بمسافة بيني وبين الأشياء لأحافظ على حبها لي وحبي لها، فالبعد يفقدنا الأشياء.. والقرب يفقدنا الأشياء أسرع، أما علاقة «النصف قرب / النصف بعد»، فتخلق توازنًا كتوازن خطوات رجل سيرك على حبل معلق، صحيح أنها خطوات بطيئة.. لكنها مستقرة وناجحة، كانت مقابلتنا الدورية كافية لتشعل بيننا الشوق، كان كل لقاء كافيًا ليغمرني بالسعادة لأيام، أما العيش معًا كفيل بأن يقتلنا من الملل..

أخاف أن أتعلق بك فتتركيني وترحلي، وأخاف تتعلقي إنتي فأخذلك وأرحل، أن الحياة مؤلمة مع العيش مع شخص لا يحبك، وأكثر إيلامًا مع شخص يحبك، فالوجع يفقد الكثير من أثره عندما يأتي من الغرباء،

ويتضاعف مع من نحبهم مئات المرات لأننا فقط لم نتوقع منهم ذلك.

إنني لا أحملك الذنب، ولا أحمل العالم أنه كان قاسيًا على أكثر مما يجب، إنني أحمل نفسي السبب، لأنني لم أكن بالقوة الكافية لمواجهته فاستسلمت لأفكاري الانهزامية، ولم يعد لدي الطاقة لكي أحاول النجاح، بل أصبحت أتقبل فشلي المقبل وأنا في سريري بكل رضا، عزيزتي.. أنا محطم وقد استنفدت كل محاولاتي في الصراع، وأصبحت أؤمن بعبثية المحاولة مرة أخرى في عالم يصر على أن يكسرني.

اكتشفت إن الحدث اللي هيحصل ويغير حياة البطل ويشقلب الأحداث عمره ما هيحصل لوحده، الحدث ده لازم البطل هو اللي يعمله، وإن المعجزات مابتحصلش للناس وهم نايمين في السرير.. اكتشفت ده بس أنا لسه مكسل أقوم من السرير.

الليالي
5
JAN
اجل عمل اليوم الى الغد عادي

- قلة ادب ٩
- ميد ويز لاف ١٣
- بس انا مبخافش ٢٧
- ضيف تقيل ٣٥
- القواعد الخمسة ٤٣
- شقة ترى البحر ٦١
- ليلة عادية جدا ٧١
- كوستا عباس العقاد ٨٣
- نظريات الوحدة ٩٥
- فيلم عربي ١٠١
- نملة تايهة ١١٣
- الثالثة فجرا ١٢١
- رقم ربنا ١٢٧
- وحيد في عالم ازرق ١٣٣
- بوكيه ورد ١٤٧

ليالي الحنية

أنا حاسس إني مش قادر أواجه أكتر من كده، تعبت من الجري.. الجري من حاجات، والجري ورا حاجات، عايز أصرخ وأقول بس وأعيط شوية وبعدين أرجع تاني للمعركة اللي مابتنتهيش، أنا حاسس إني متورط، حد حط في إيدي سيف وقالي حارب ونسي يسألني هو أنا بعرف أحارب أصلًا ولا لأ؟

أنا خايف موصلش..

وخايف أوصل اكتشف إن مش ده أصلًا اللي كنت عايزه!

- -

مصطفى شهيب

كاتب مصري، يكتب مقالات الرأي لعدد من الصحف والمجلات والدوريات، كتب العديد من المسرحيات والبرامج التلفزيونية، وصدر له عدة كتب منها: "رحلتي من الشك للشك برضه" و "كل الطرق تؤدي لـ60 داهية".

9 789778 240634

للنشر والتوزيع